بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

بنية القصيدة الجاهلية

دراسة فنية موضوعية

تخصص الأدب والنقد

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة :

إشراف الدكتور:

سعيدة علي عبد الواحد

عبد الرحمن عطا المنان

٢٠٠٦- ٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالي :

﴿ والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ألَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ
يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرا
وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ

صدق الله العظيم

سورة الشعراء الآيات من ٢٢٤-٢٢٧

الإهداء

إلي أعز الناس إلي قلبي . . إلي من وقفوا أشجاراً

باسقة لأجلنا . . . إلي من ضحوا كثيرا من أجلنا

. . . إلي من أشتعلوا ضياء لينيروا لنا طريقنا ودروبنا

إلي من بذلوا فوق طاقتهم لإسعادنا

أبي وأمي

إلي أحبتي وأعزائي . . إلي الأزهار والورود

التي زينت دنياي

أخوتي وأصدقائي

إلي كل من أضاء طريقي وكل من علمني حرفاً

ووقف بعقله وعلمه ووقته

أساتذتي

أهدي هذا البحث

الشكر والتقدير

الشكر أولاً وآخراً لله سبحانه وتعالي كما يحب ويرضى والتزاما بقوله عز أسمه: {وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}.(1)

ويقول الشاعر

من لا يؤدّي شكر نعمة خلّه ** فمتى يؤدي شكر نعمة ربّه(2)

بمقتضي واجب الوفاء فإني أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان لكل من أسهم في إخراج هذا البحث، وأخص بوافر شكري وامتناني للدكتور الجليل/ **عبد الرحمن عطا المنان**. الذي كان له فضل الإشراف علي هذا البحث ورعايته منذ أن كان فكرة فقد كان نعم المشرف فجزأه الله عن العلم وطلابه خير ما يجزي العلماء والعاملين أطال الله عمره وجعله زخرا للوطن عامة وللغة العربية خاصة، والشكر لجامعة أم درمان الإسلامية ومكتبتها العامرة ومكتبة جامعة القرآن الكريم ومكتبة جامعة إفريقيا العالمية والشكر للجنة المناقشة لتفضلهم بقبول تقويم هذه الرسالة.

---

(1) سورة النمل : الآية (٤٠)

(2) ديوان البحتري : شرح د. يوسف الشيخ محمد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولي١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ج٢، ص٢٨٥

المقدمة:

الحمد لله الموفق لكل خير، والحاث علي بذل كل يد، والدال علي كل فضل وإحسان، والصلاة والسلام علي حبيبنا وإمامنا محمد (ﷺ)، ومن سار علي نهجه إلي يوم الدين.

فموضوع البحث بنية القصيدة الجاهلية دراسة فنية وموضوعية في أثناء دراستي لمادة الأدب أعجبت ببنية القصيدة الجاهلية لما أمتازت بها من قيمة فنية فأحببتها وشققت بها فأتجهت لدراستها والبحث فيها.

أهمية الموضوع:

ترجع أهمية الموضوع إلي جانب تأصيل التراث، وإحياء التراث ضرورة حضارية لكل نهضة صحيحة ننشدها لأمتنا ذلك يربط الماضي بالحاضر، وأن قوى الحياة الإنسانية والسعادة البشرية كامنة فيما خلفه لنا أجدادنا من علوم وآداب وفنون وغيرها.

أهمية البحث:

- تتبع أهمية هذا البحث من خلال تجربة القصيدة الجاهلية من حيث البنية اللغوية وإظهارها من خلال لغة الشاعر في الوصف والغزل والبكاء علي الإطلال.
- تتبع أهمية القصيدة الجاهلية من أنها مرآة لعصر يمكن أن نتعرف عليه من خلالها من حيث البيئة والمجتمع والعادات والتقاليد والتراث.

أهداف البحث:

- يهدف البحث لعرض القصيدة الجاهلية ودراستها من خلال تنوع موضوعات القصيدة من داخل بنية القصيدة غزل وصف وبكاء علي الأطلال.
- يهدف هذا البحث لعرض اختلاف الموضوع وتناوله علي الموضوع أعلاه.

مشكلة البحث:

من مشكلة البحث أن القارئ الحديث يجد صعوبة في قراءة الشعر الجاهلي لكثرة ما تجد فيه من ذكر أسماء المناطق والأمكنة ولغة غير مستخدمة في هذا العصر، كما أن الغزل الذي تناولته القصيدة غزل حسي ومعنوي.

حدود البحث:

حدود هذا البحث بنية القصيدة الجاهلية المكونة من الأطلال، والغزل، والوصف، وأغراض الشعر الأخرى.

منهج البحث:

تناولت المنهج الوصفي التحليلي في دراسة هذا البحث

الدراسات السابقة:

لم أجد دراسة بعينها عن هذا الموضوع بالرغم من أن هناك دراسات تناولت هذا الموضع، ولكن بطرق مختلفة عن هذه الدراسة، وهذه الدراسات أفادت دراستي.

وفي تناولي لهذه الدراسة قد استعنت بالعديد من المصادر والمراجع ذات الصلة بموضوع البحث نذكر منها تاريخ الأدب العربي للرائد شوقي ضيف، العمدة لابن رشيق كتاب الحيوان الجاحظ وكتاب البيان والتبين وغيرها من الكتب والمراجع.

هيكل البحث:

هذا وقد قسمت بحثي إلي عدة فصول وكل فصل يشتمل عددا من المباحث واختتمت البحث بالخاتمة وتوصلت إلي أهم النتائج والتوصيات.

الفصل الأول

الأطـــــلال

وفيه ثلاث مباحث :

المبحث الأول : الأطلال عند الشعراء الجاهليين

المبحث الثاني : فلسفة الوقوف علي الأطلال عند النقاد المحدثين

المبحث الثالث: المطالع الطللية والغزلية في القصيدة الجاهلية

المبحث الأول

الأطلال عند الشعراء الجاهليين

يعد الطلل من أهم الموضوعات التي ترددت في القصيدة الجاهلية لعلاقته الوثيقة بإنسانية الشاعر الجاهلي، وميوله وعواطفه بماضيه وحاضره[1]

وأن النقاد القدماء والمحدثين حاولوا تفسير هذه الظاهرة (الوقوف علي الأطلال)، وقد ذهب ابن قتيبة[2] إلي أنها تمثل جزءا أساسيا من القصيدة العربية ترتبط بأسباب نفسية حددها في قوله (سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيه بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكى وخاطب الربع وأستوفت الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها إذا كان نازلة العمد في الحلول والظعن علي خلاف ما عليه زلزلة المدد لانتقالهم من ماء إلي ماء وانتجاعهم الكلأ وتتبعهم مساقط الغيث، ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق والشوق ليميل نحوه القلوب، ويستعدي الصفاء الأسماع إليه لأن التشبيب قريب من النفوس لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل فلا يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب وضاربها فيه بسهم حلال أو حرام، وشكا النصب والسهر وسرى الليل والهجير، وحاول ابن رشيق أن يعلل ظاهرة الوقوف علي الأطلال تعليلا يربط بينهما وبين طبيعة الحياة الجاهلية، فقال: (كأنوا قديما أصحاب خيام يتنقلون من موضع لآخر فلذلك أول ما تبدأ أشعارهم بذكر الديار)[3]

ويتضح لنا في ظاهرة الوقوف علي الأطلال ذاتية الشاعر حيث نراه يتحدث فيها بغير المتكلم وكأنه وحده هو الباكي علي الراحلين، ولا تأثير لطلل عليهم إلا ما

---

(1) الطبيعة في الشعر الجاهلي: ص، ٢٥٧، نوري حمو يالقيسي، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، عالم الكتب مكتبة النهضة.

(2) ابن قتيبه : (٢١٣-٢٧٦) علم من أعلام الإسلام وإمام وحجة من أئمة العلم وكان من علماء العربية علي مذهب البصريين ، من تصانيفه كتاب معاني الشعر الكبير، كتاب عيون الشعر، كتاب عيون الأخبار، وفيات الأعيامن، ج٣، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

(3) العمدة، لابن رشيق، ج١، ص٢٢٦

يكون من مؤاساته وتعزيته، ولنبدأ في هذا الموقف مع الشاعر المفضلي عبد الله بن سلمة الغامدي[١]، حيث يقول:

لمَن الديار بتولعٍ فَيبوسِ ** فَبياضُ ريطَـَةَ غَيرَ ذاتِ أنيسِ

أمستَ بمستّنّ الرياحِ مُفيلةً ** كالوشمِ رُجّعَ في اليدِ المَكنوسِ[٢]

فالشاعر هنا يصف ديار حبيبته ، وأطلالها الدارسة ذاكرا تأثير الرياح فيها حيث أخفت معاملها ومحت آثارها ذاكراً كل هذا بمنتهي الحزن والأسي ولكنه لا يستسلم لهذا اليأس[٣]

وقد نال الوقوف علي الأطلال كثيرا من عناية النقاد قدامي ومحدثين ، أما القدامي فكانت أحكامهم جزئية يندر أن يحكموا عليها كلها فقالوا[٤]

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ ومَنزِلِ ** بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحومَلِ[٥]

ويري أبن رشيق[٦] أنه أفضل ابتداء صنعه الشاعر لأنه وقف وأستوقف وبكى وأستبكى ، وذكر الحبيب والمنزل في بيت واحد.

فأبن رشيق كابن قتيبة فيما نقل عن بعضت الأدباء، يرجع ظاهرة الوقوف علي الأطلال إلي تأثير البيئة التي عاشها البدوي، وأضاف ابن رشيق إضافة زكية وهي أن الوقوف علي الطلل طبع عند أهل البدو تقليد عند أهل الحضر[٧]

فلا عجب من أن هذه الأطلال أن يعزها الشاعر وأن يقف بها ويطوف حولها؟ بل وقد وقف وأستوقف وبكى وأستبكى ونطق وأستنطق، وقد ارتبط اسم الديار باسم المحبوب فهما مقترنان اقترانا معنويا في ذهن الشاعر[٨] وذلك في قوله طرفة[١]

---

(١) عبد الله بن سلمة الغامدي القحطاني الأزدي: شاعر مخضرم (بين الجاهلية والإسلام)، روى له المفضل الضبي في المفضليات قصيدتين ليس فيهما ما يدل علي عصره. (أنظر الأعلام خير الدين الزركلي ، ٤، ص٩٠، ط١٠، بيروت،دار العلم للملايين ، ١٩٩٢م)

(٢) المفضلية، ج١٩، ١٠٥

(٣) المرجع السابق، ص١٣٢

(٤) الأصول الفنية للشعر الجاهلي، د. سعد إسماعيل شلبي، ص١٣٣

(٥) ديوان أمرئ القيس ، ص٢٥، تحقيق حنا الفاخوري

(٦) ابن رشيق : هو الحسن بن شريق المعروف بابن رشيق القيرواني ، أبو علي الشاعر، ولد بالمهدية، ورحل إلي القيروان، ودخل إلي صقلية وسكن مازر، ولد سنة ٣٨٥هـ، وتوفي سنة ٤٦٣هـ، من تصانيفه العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه. (أنظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣/، ج١، ص٥٥١

(٧) الأصول الفنية للشعر الجاهلي، ص١٣٤

(٨) الغزل في الشعر الجاهلي، أحمد محمد الخوفي، دار القلم، بيروت، ص٣٣٦ .

لخِولة أطلال ببرقه   ثمهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

خولة : اسم مرأة كلبية

برقه : مكان اختلط ترابه بحصى

الطلل : ما شخص من رسوم الدار

يقول لهذه المرأة أطلال ديار بالموضع الذي يخالط أرضه حجارة وحصى من ثمهد فتلمع تلك الأطلال لمعان بقايا الوشم في ظهر الكف شبه لمعان أثاره بلمعان الوشم في ظهر الكف.

فقد عني الشعراء بالأطلال عناية فائقة فقد حددوا مواقعها تحديدا دقيقا، كأنما يرسمونها علي الورق، ولعل سبب ذلك تخوفهم من أن تمحوها عوادي الطبيعة.

كثيرا ما كان الشاعر يتخاطب مع الأطلال فيصفها بصفات الحي ثم يخبر الطل ويستخبره ويناجيه ويستلهمه ، يتبرم به حين لا يجيب سؤاله، ويدعو له بالسقيا والسعادة(٢).

ومن تأثيرها العميق في نفس الشاعر قول امرؤ القيس(٣)

ألا عِمِ صَباحاً أَيُّها الطَلَلُ البالي ** وَهَلَ يَعِمَن مَن كانَ في العُصُرِ الخالي

وَهَل يَعِمَن إلا سَعيدُ مُخَلَّدُ ** قَليلُ الهُمومِ ما يَبيتُ بِأَوحالِ(٤)

فهو يحييه ويتمنى له السعادة، ثم يستدرك فيقول: وهل يشعر بالسعادة من تقادم به الزمن وتناوبته الأحداث؟ لقد تعاورتك أيها الطلل هموم العمر الطويل، حتى صار من البعيد أن تتناسى آلامك وتشعر بالسعادة.

وقد يبكى الشاعر لوعته وشوقه وحرمانه، تحدث بذلك امرؤ القيس، ووقف واستوقف صاحبيه، واستبكاهما معه، وأشفقا عليه فنصحا له أن يتجلد حتى لا ينجع

---

(١) تعريف الشاعر طرفة بن العبيد هو طرفة بن العبيد بن سليمان بن سعد بن صعصعة أسمع عمر وسمه طرفه علي حسب في قومه جرئيا علي هجائهم كان احدث الشعراء سناً وأقعدهم عمرا قتل هو ابن عشرين سنة فقبره بالبحرين وأشهر سعره معقلته ولد نحو ٥٤٦-٥٦٦ (أنظر الأعلام، لخير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج٣، ص٢٢٥)

(٢) الغزل في الشعر الجاهلي ، ص٣٣٧

(٣) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، أشهر شعراء العرب علي الإطلاق ، يماني الأصل، مولده بنجد، توفي ٨٠ق.هـ، أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر. من آثاره ديوان شعر. (تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلي العربية عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف ج١، ص٩٧.

(٤) ديوان امرؤ القيس ، ص٥٦

نفسه، فرد عليهما أن شفاءه في أن يبكي ليخفف من بعض همومه[١] وكذلك بكي المرقش الأكبر[٢]

هَلْ تعْرِفُ الدّارَ عَفا رَسْمُها ** إلاّ لأثافِيَّ ومَبْني الخِيَمْ[٣]

كانت الأطلال نفسها مجال للافتتان من حيث تشبهها بغيرها بما تداعي إلي خاطر الشاعر، حيث رآها الشعراء الوشم، وبالطراز الموشي، وبالكتابة وغيرها.

وكان لهذا التشبيه علاقة نفسية لأن الشاعر يتذكر حبيبته وهو واقف بآثارها وقوف الذاكر الخاشع/ وهو يري الرمال قد موجتها الرياح، ونبتت هذا المنزل فيشبهه بالطراز الموشي وذلك من ملابس الحبيب[٤] شبه زهير[٥] الأطلال بالوشم فقال:

ودَارُ لها بِالرَقمَتَينِ كأنها ** مَراجِعُ وَشمٍ في نَواشِرِ مِعصَمِ[٦]

وهكذا جاء الطلل موضوعاً هاماً اشترك فيها عدد كبير من الشعراء الجاهلية لما فيه من علاقة مباشرة بواقعهم ووجدانهم. وأن هذا لا ينفي ظهور التلوين الشخصي في مقدمات الطلل، وقد يتمثل هذا التلوين عند كل شاعر علي حدة علي جانب معين، وربما كان الجانب الواقعي وقد يتمثل في طريقة معالجة الصورة الطللية وتسخيرها في خدمة الموضوع الخاص بالعقيدة.

كانت الأطلال نفسها إلي بيت الشعر في نواشر معمم بعدها وكذلك طرفة في قوله:

لِخَولَةَ أطلال بِبُرقةِ ثَمهدِ ** تَلوحُ كَباقي الوَشمِ في ظاهِرِ اليَدِ[٧]

وتبعها النابغة الذيباني[١] بالوشى :

---

(١) الغزل في الشعر الجاهلي، ص٣٣٨

(٢) المرقش الأكبر: هو عمرو بن سعد بن مالك بن طبيعة بن قيس بني ثعلبه بن عكامة بن بكر وائل بن قاسط المقرش لقب له وعو المرقش الأصغر وكلاهما من متيمي العرب وعشاقهم وفرسانهم . توفي نحو: ٧٥ق.هـ. (أنظر معاهد التنصيص عبد الرحيم العباسي ، طبعه بيروت، عالم الكتب ، ١٩٤٧، ص٨٤، والأعلام للزركلي ، ج٥/ص ٩٥

(٣) المفضليات ، أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولي، ص٤٩

(٤) الغزل في العصر الجاهلي ، ص٣٤٤

(٥) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني من صفر، حكم الشعراء في الجاهلية، كان أبوه شاعرا وخاله شاعراء، ولد في بلاد مزينة بنواحي المدينة قصائده تسمي الحوليات. أشهر معلقته له ديوان شعر مطبوع. (أنظر الأعلام ، خير الدين الزركلي، ط١٠،ج١،ص٣٢٧)

(٦) شرح المعلقات السبع للزوزني، كتب المعارف، الطبعة الثانية

(٧) ديوان طرفه، ص٥

تذكرني أطلال هند مع الهوي ** دعائم منها قائم ومتدع

علي العصر الخالي كان رسومها ** بتنهيه الركين وشي موجع(٢)

لقد أكثر الشعراء من تشبيه هذه الآثار وتموجاتها والخطوط المنتظمة ويبكي عبيد الأبرص بكاء حمامة فيقول:

وَقَفتُ بِها أبكي بُكاءَ حَمامَة ** أراكِيَّةٍ تَدعو حَماماً أورِاكا

إذا ذَكَرَت يَوماً مِنَ الدَهرِ شَجوَها ** عَلي فَرعِ ساقٍ أذرَتِ الدَمعَ سافِكا(٣)

تبرم امرؤ القيس لأن الأطلال استعجمت فلم تنطق

صُمَّ صَداها وَعَفا رَسمُها ** وِاستَعجَمَت عَن مَنطِقِ السائِلِ(٤)

ولكنه في مرة أخرى، جاء الطلل، وتمنى أن يتكلم، يطيل معه الحديث عن الحبيبة وركبها ومشاعرها حين الرحيل، صادقا يحدث به

ألا أنعِم صَباحاً أيُّها الرَبعُ وَأَنطِقِ ** وَحَدَّث حَديثَ الرَكبِ إن شِئتَ وَأَصدُقِ

تمر الأعوام وتتبدل الأحداث ولكنها لا تنقص من غزارة الأطلال، لأن قلب الشاعر خفاق بحب من سكنتها – وتكاد عوادي الطبيعة تمحو معالمها محوا، ولكن يتحسسها الشاعر بقلبه قبل أن يتنورها بعينيه فيقول النابغة الذيباني :

تَوَهّمتُ آياتٍ لَها فَعَرَفْتها ** لِستّةِ أعوامٍ وذَا العامُ سابِعُ(٥)

كان لمعالمها الباقية آثر عميق في نفس الشاعر لأنها مرتبطة بمن يحب ترحل الحبيبة وتبقي آثارها في الصحراء.

تبقي الأحجار واثافي ** ودخان يصبغ الأحجار(٦)

يأتي الشاعر لزيارة حبيبته، فيجد أهلها قد رحلوا بها عن المكان الذي عهدهم نازلين فيه، فيقف علي طلل الخيمة، (المكان الذي كان الخيمة منصوبة فيه) فيصفه

---

(١) النابغة الذيباني : هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني ، الغطفاني المضري، أبو أمامة، شاعر جاهلي من الطبقة الأول، من أهل الحجاز، توفي نحو ١٨ق.هـ من آثاره ديوان شعر. (أنظر الأعلام للزركلي، ج٣، ص٥٤، مرجع سابق الذكر).

(٢) ديوان النابغة، ص٣٩

(٣) ديوان عبيد الأبرص، القصيدة ١٧

(٤) ديوان امرؤ القيس ، ص٢٥١

(٥) ديوان النابغة الذيباني ، ص٥٢

(٦) الغزل في الشعر الجاهلي، ص٣٤٢

ويصف ما حوله وينسب بالحبيبة ويتشوق إليها[١]، كثيراً ما يتحسر الشاعر لأن معني الحبيبة صار مرتعا للوحوش[٢]

يأتي الشاعر لزيارة، إذا ما غدر الدار فأطغوها أوي إليها الحيوان الذي كان يألفها ثم فر منها لما خيموا، وأدي إليها ليطعم مما خلفوا، قد صور الشعراء هذا في شوقهم قال المرقش الأكبر في حسرة أنها قد خلت من سكانها، وليس بها إلا أبقار الوحوش ترعى في دعة وتمشي مختالة كالفرس:

المرقش الأكبر:

أمْسَتْ خَلاءً بعدَ سُكانِها ** مُقفِرَةً ما إنْ بها مِنْ إرَمْ

إلا مِنَ العِينِ تَرْعّي بها ** كالفارسيّين مَشَوْا في الكُمَمْ[٣]

شبه الأطلال التي تصفها الرياح بالكتابة وبالصحف المكتوبة فقد صورها امرؤ القيس بخط زبور في عسيب يماني أي خط زبور في سقف النخل الوارد من اليمن معدا للكتابة فيقول:

لِمَن طَلَلُ أبصَرتُهُ فَشَجاني ** كَخَطّ زَبورٍ في عَسيبِ يَمانِ[٤]

وقال طرفه أنها كسطور الكتابة الجميلة المزينة التي ينمقها كاتب فقال:

اشَجاكَ الرَبعُ أم قِدَمُه ** أم رَمادُ دارِسُ حُمَمُه

كَسُطورِ الرِقّ رَقّشهُ ** بِالضُحي مُرَقّشُ يَشِمُه[٥]

وقال المرقش الأكبر:

الدّارُ قَفْرُ والرُّسُومُ كما ** رَقَّشَ في ظَهْرِ الأدِيمِ قَلَمْ

([١]) تاريخ الأدب العربي، د. عكر فروخ، ج١، ص٨٠/١، دار العلم – بيروت

([٢]) مرجع سابق، ص٣٣٦

([٣]) الغزل في الشعر الجاهلي، ص٣٣٦

([٤]) ديوان امرؤ القيس، ص١٩

([٥]) ديوان طرفه، ص٦٨

المبحث الثاني

فلسفة الوقوف علي الأطلال عند النقاد المحدثين

حاول ابن قتيبة تفسير الوقوف علي الأطلال، كذلك حاول بعض النقاد المحدثين تفسيرها، فقد أختلفت لظاهرة الوقوف عل الأطلال، فعللوا للوقوف عل الأطلال تعليلات مختلفة.

ففريق يتخذ من وراء القدماء منطلقا لرأيه في حسن العرض وجمال الصياغة، وفريق يقف علي الطلل ويكد ذهنه في تفسيرها يعتمد فيها علي علم النفس[١]؟

ومن الذين يدورون في فلك القديم الدكتور محمد الكفراوي في كتابة (الشعر العربي بين الجمود والتطور) قال : يظهر أن الشعر العربي كما يفهم من اشتقاقه بدأ أول الأمر في صورة نجوى بين المرء ونفسه ويترجم بها عن مشاعره، ويتغنى بها آماله وعواطفه كلما طال عليه الليل ، وأي شيء أحب إلي نفسه والصق فؤاده من حبيبه يسترجع ذكرياته معها حلوها ومرها، فإن ارتحلت عن ديارها لم يجد سوى الربع الخالي يسأل عن الحبيبة الراحلة، ويلتمس في جوانبه مواطئ أقدامها، فيلتمس صورتها في وجه القمر ويتنفس أنفاسها عند الأصائل والأسحار.

وإذا كانت الحبيبة هي المثير الطبيعي لعاطفة الحب فإن الأطلال هي المثير الصناعي وتفسير ذلك أن الحبيبة بعيدة عن المشاعر، فديارها حلت محلها في إثارة عاطفة حبها، فلديارها ووجدانها هي المثير الصناعي، ومرت الأيام حتى صارت ديارها وحدة متماسكة الأجزاء، فإذا كان جزء قد رحل فإن الجزء الآخر قد حل محله[٢].

ويقول الدكتور شلبي (أرى في ضوء هذه الآراء المقترنة المعتمدة علي النصوص وما تشير إليه، أن نعد الوقوف علي الأطلال لونا من ألوان حب العربي لوطنه، فالعربي يحب وطنه ويتمسك به ولا يهمله ولا ينساه) [٣]

---

(١) الأصول الفنية لشعر الجاهلي، ص١٣٤-١٣٥

(٢) الغزل في الشعر الجاهلي، ص٣٣٥

(٣) مرجع سابق، ص١٣٥-١٣٦

وكذلك يقول الدكتور سعد إسماعيل شلبي في كتابه الأصول الفنية للشعر الجاهلي (ان رأي المستشرق الألماني " فالترباوته" من أهم الآراء، لأنه آثار تساؤلات وقرر فكرة في جوهرها فكرة المتفالسفين من بعده وعلي الأخص الدكتور عز الدين إسماعيل في مجلة الشعر والدكتور مصطفي ناصف في كتابه" قراءة ثانية لشعرنا القديم")[1]

يقول فالتربروانه (إن قطع النسيب التي تطالعنا في صدور القصائد الجاهلية، ليست وسيلة إلي غاية أبعد منها، وإنما هي غاية في نفسها، وينكر ما ذهب إليه ابن قتيبة ويري أنه تفسير غير محتمل، وأنه بعيد عن الشعراء القدماء لأنه رحل حضري يعيش في مجتمع متحضر، بعيد عن البداوة، ويقول : أن النمط المعتاد للنسيب هو الحب والصبابة والشوق للحبيب، ويلخص من ذلك إلي أن النسيب في كل زمان ومكان يسأل عن وجوده ومصيره ونهايته وبصفة خاصة كان هذا السؤال يؤلم الشاعر الجاهلي ويضايقه، كلما رددت عبارات: عنت الديار، درست الرسوم، أمحت الرسوم).

والحياة تعني تحت جبر القضاء وظلم المنية، وما أرهب الحياة إن وجود الإنسان تخيم عليه تجربة التناهي، فهل شئون حياته مثل الديار تطفح بالحركة والحياة يوم أن يكون أهلها في ربوعها ثم تتحول إلي غفار موحشة يخيم عليها السكون والموت عند رحيل أهلها[2] وقد نقل الدكتور نوري حموي القيس إبداء الرأي الألماني (فالتربرانة) وتفسيره لظاهرة الوقوف علي الأطلال في كتابه: (الطبيعة في الشعر الجاهلي) يقول : فسر المستشرق الألماني فالتربرانة الظاهر من خلال التماسه لألوان من التفكير الوجودي لدى الشعراء الجاهليين، وأعتبر النسيب ظاهرة تحمل ملامح من التفكير الوجودي، وأعتقد أن موضوع اختيار القضاء والفناء والتناهي، هو الذي حرك الإنسان من حين إلي حين، وأعتقد أن الشعراء عبروا في نسيبهم عن مشاعر صادقة كامنة في نفسهم، وأن الأحاديث التي ذكروا فيها أيامهم السعيدة ووصفوا ساعات اللهو والشرب والهزل والمداعبة، كانوا فيها يتكلمون عنها

---

(1) مجلة المعرفة السورية، السنة الثانية، العدد الرابع، ص١٣٧

(2) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، د. حسن عطوان، ص٢١٦-٢١٧، دار المعارف

بصراحة من الألم، لشعورهم بأن الفرح انتهي، وأن اللهو مضي، وأن الشباب فني، وأن الإنسان يشعر دائما بتهديد القضاء، وتوعد الفناء ويخلص من حديثه هذا فيقول: (إن الشعر القديم مسائل شبيهة بتلك التي تثيرها الفلسفة الوجودية) [١]

وحاول الدكتور يوسف خليف[٢] أن يجعل فرات الفراغ التي كانت تطول في بعض الأحيان وخاصة في أيام الربيع، وعند ما تتحول البادية إلي جنة خضراء يسمون أبلهم وأنعامهم وشاءهم سببا من أسباب ملء الفراغ بأي شيء حتى لا تستحيل الحياة فراغاً بارداً، وشعور بالضياع في هذه الصحراء المترامية الأطراف التي يخيل للإنسان فيها أنه يعيش في عالم لا يعرف الحدود، وحددت ظروف البيئة والحضارة في المجتمع الجاهلي وسائل هذه المشكلة، مشكلة الفراغ في ثلاث اتجاهات أساسية، الخروج إلي الصحراء للرحلة أو الصيد، والالتقاء بالرفاق لشرب الخمر ولعب الميسر، والسعي خلف المرأة طلباً للحب والغزل.

ويري الدكتور يوسف خليف: أن بكاء الأطلال ليس عاطفة خاصة ولا تجربة وجدانية بل لحظة حزينة أملاها علي الشاعر شعور الجماعة التي ينتمي إليها بالحرمان من الوطن المكاني وبالحنين إلي الاستقرار والمقام الثابت الذي يستطيع فيه أن يقيم بيتاً، ويخلد فيه ذكرياته ويسترجع ملاعب صباه وهو في الواقع لا يواجه ذكرى حبه فحسب وإنما كانت تتداعى في ذاكرته صور شبابه الذاهب.

وهذان الدافعان يكفيان لخلق عاطفة تثير في نفسه جواً مناسباً يحمله علي الحنين، وبعد ذلك التمهيد الذي يخلق الجو الشاعري المناسب لقول القصيدة[٣]

وفي مجلة الشعر السنة الأولي[٤] ينسخ الدكتور عز الدين إسماعيل أفكار المستشرق الألماني (فالتربراونه) ثم يزيدها وضوحها ببراهين جديدة من اقوال العلماء والفلاسفة والمحدثين ثم ينسبها لنفسه نراه يقول (إن هذا النسيب كان تعبير يجسم لنا ارتداد الشاعر لنفسه، وخلوه إليها، وهو الجزء الذاتي الذي يعبر فيها الشاعر عن

---

(١) الطبيعة في الشعر الجاهلي، نوري حموي القيس، ص٢٥٨

(٢) مقدمة الأطلال في القصيدة الجاهلية، ثلاث مقالات نشرت في مجلة المجلة المصرية، الأعداد ٩٨، ١٠٠، ١٠٤، من سنة ١٩٦٥، يوسف خليف نقلا عن كتاب الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص٢٥٩

(٣) الطبيعة في الشعر الجاهلي ، نوري حموي القيس، ص٢٥٩-٢٦١

(٤) مقدمة القصيدة العربية، ص٢١٩-٢٢٠

الحياة والكون من حوله، فصورة الحياة بالنسبة للشاعر الجاهلي كانت تنطوي في نفسه علي عناصر خفية أحسها الشاعر إحساسا مبهما، ومن أبرز هذه العناصر الخفية التناقض بين اللامتناهي والغناء).

ومن أجل هذا لم يكن يشعر بالاطمئنان إزاء الحياة، وأن قطعة النسيب تقوم علي عنصرين أساسين هما الوقوف علي الأطلال وذكر المحبوب، وأن الشاعر لم يجمع بينهما عبثا واعتباطا في موقف أحد، بل جمع بينهما ليرمز إلي الحياة والموت، أي الحب المهدد برحيل المحبوبة، كذلك الحياة المهددة بالخراب ممثلة في الوقوف علي الأطلال ، هذا إذا نظرنا إلي النسيب علي أنه شكل من أشكال التعبير الأدبي، أما من الناحية النفسية، هو انعكاسا لصراع أبدي في نفس الإنسان بين الحياة وغريزة الموت[١].

فمقدمة النسيب في العصر الجاهل تعبير عن أزمة الإنسان في ذلك العصر وعن موقفه من الكون، وخوفه من المجهول، ثم يقول الدكتور عز الدين إسماعيل: وقد اتضح من تحليلنا للظاهرة في ضوء حقائق علم النفس التحليلي إن النتائج.

جاءت مخالفة تماما لما ذهب إليه بن قتيبة ويظهر من عرض رأي الدكتور عز الدين أنه يكرر رأي المستشرق الألماني"فالتربراونة" من الشرح والتوضيح)[٢].

إن الدكتور عز الدين إسماعيل يحلل ظاهرة الوقوف علي الأطلال في ضوء علم النفس التحليلي – لا التفسير النفسي بالمعني العام لكلمة النفس طالما جدنا علم النفس بنظريته إلي الاضطراب والتناقض والخطأ.

يقول الدكتور سعد إسماعيل شلبي في كتابه الأصول الفنية للشعر الجاهلي: (وهذا ما نذكره للدكتور مصطفي ناصف بعد قراءتنا لكتابة قراءة ثانية لشعرنا القديم، حيث نراه في صورة مكررة لفتالربراونة وعز الدين إسماعيل، ولكن مع الأغراب في الفكر إلي الأعماق، يقول أن البكاء علي الطلل حزن ولكنه حزن إيجابي وأن الدموع التي نقلت عن تعليق الشاعر بالماضي الذي لم يعد كما يظهر

---

(١) مرجع سابق، ص٢١٩-٢٢٠

(٢) مجلة المصطفي ناصف قراءة ثانية لشعرنا وأزنت مجلة المعرفة السوري العدد ٢٧، السنة ١٩٦٤م، ص١٥٣-١٥٦ بين رأي فالترابراونه والدكتور عز الدين إسماعيل مقال بعنوان توارد خواطر أم نقل أفكار؟ نقلا عن الأصول للشعر الجاهلي، ص٣٩

لنا فنا أو عدم، فإن كان الماضي قد ذهب، أو أمس قد انتهى فليس معنى ذلك أنه لن يعود فاليوم صورة له، وهذه الإطلالة رموز باقية).

إن الدكتور ناصف يردد فكرة الصراع بين الحياة والموت الذي سبقه بها فالترابراونه، غير أن يري في الطل معني التثبت بالبقاء، وأن ما مضي منه في تاريخه أو أندثر لم ينته إلي عدم مطلق وإنما هو دفن في سبيل البعث.

وبعد هذا الحشد من الآراء أكد بعض القدماء كانوا أكثر منا توفيقاً إلي الصواب في فهم ظاهرة الوقوف علي ألأطلال هذا ما انتهي إليه الدكتور حسين عطوان بعد بحث طويل استغرق ما يقرب من أربعون ومائتي صفحة عايش فيها مقدمات القصائد في العصر الجاهلي، وأنتهي في خواتيم بحثه إلي قوله:(ومن يمعن النظر في المقدمات جميعاً، يراها تدور علي معاني الشوق والحنين إلي الماضي وأي شيء في حياة الإنسان في كل زمان ومكان غير الذكريات.)

المبحث الثالث

المطالع الطللية والغزلية في القصيدة الجاهلية

لقد أنصرفت عناية بمطلع أي عمل أدبي فقد كانوا يقولون: (أحسنوا معاشر الكتاب والابتداءات فإنهن دلائل البيان) [١]

وكانوا يوجبون أن يكون مفتتح الكلام ملائما للمقصد دالا عليه سواء كان الشعر أو النثر[٢]

أما القصيدة فقد أعتنوا بمطلعها عناية فائقة ، كما يقول ابن رشيق: (إن الشعر قفل أو له مفتاحه) [٣] يري ابن رشيق أن المطالع مفتاح القصيدة.

المطلع أول ما يقع في السمع من القصيدة، والدال علي ما بعدها، والمتنزل من القصيدة منزلة الوجه والفره، فإذا كان بارعا وحسنا ومليحا رشيقاً، وصدر بما يكون فيه من تنبيه وإيقاظ لنفس السمع، أو أشرب بما يؤثر فيها انفعلا ويثيرها حالا من التعجب أو تهويل أو تشويق، وكان داعياً إلي الإصغاء والاستماع إلي ما بعده[٤].

ولقد أهتم الشعراء منذ القدم بمطالع قصائدهم ، لأنها أول ما تفاجأ السامع ، فلا بد أن يكون لها وقع حسن، ولذلك حمد النقاد للشعراء مطالعهم الحسنة التي تكون واضحة سهلة المأخذ مع القوة والجزالة، وقد لاحظوا كذلك التناسب بين الشطر والعجز وترابط المعني بينهما، وكذلك لاحظوا مناسبة المطلع لموضوع القصيدة، فإذا كان المقام مقام حزن كان أولي بالمطلع أن يبتدئي بذلك من أول بيت، وإذا كان المقام مقام تهنئة أو مدح كرهوا الابتداء بما يتشاءم به[٥].

---

(١) كتاب الصناعتين، لبي هلال العسكري، ص٤٨٩

(٢) بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، يوسف حسبن بكار، ص٢٥٣، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الأندلس – بيروت لبنان

(٣) العمدة لابن رشيق، ص١٩١

(٤) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص٤٩٦)

(٥) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٤٣

دخل جرير [١] علي عبد الملك[٢] بن مروان فابتدأ ينشده:

أتَصحوا بَل فُؤادُك غَيرُ صاحِ

فقال عبد الملك: " بل فؤادك يابن الفاعلة" كأنه استقل هذه المواجهة وإلا فقد علم أن الشاعر إنما خاطب نفسه.

لذلك فقد ساءه المطلع، مع إن عبد الملك يعلم أن الشاعر يخاطب نفسه، كلك وقع ذو الرمة فيما وقع فيه جرير، حيث دخل علي عبد الملك بن مروان فانشده من شعره:

ما بالُ عَينِكَ مِنها الماءُ يَنسَكِبُ

وكانت بعين عبد الملك ريشة، وهي تدمع أبدا فتوهم أنه خاطبه أو عرض به، فقال: وما سؤالك عن هذا يا جاهل؟!! فمنهم وأمر بإخراجه

وكذلك فعل ابنه هشام بابي النجم[٣] وقد أنشده:

والشمس قد كادت ولِمّا تَفْعَلُ ** كأنها في الأفقِ عينِ الأحولَ

وكان هشام أحول، فأمر به فحجب عنه مدة، وقد كان قبل ذلك من خاصته، يسمر عنده ويمازحه[٤]

أسوأ من كل ذلك قول أبي مقاتل في المديح:

لا تقل بشري فعندي بشريان ** غره الداعي ويوم المهرجان

فأوجعه الداعي ضربا.. ثم قال :

لو قلت إن تقل بشري بشريان

---

(١) جرير : جرير بن عطية بن الخطف والخطف لقب، وأسمه حذيفة بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد بن تميم بم مربن أد بن طانجة بن الياس بن مضر بن نزار ويكنى أبا حرزة ولقب الخطف لقوله: يرفعن لليل إذا ما سدقا أعناق جنان وهاما وجفا وهو الفرزدق والأخطل المقدمون علي شعراء الإسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعا ومختلف في رأيهم المتقدم، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم إلا تعرف لهم أم جرير ، أم قيس بنت معبد بن عمير بن مسعود بن حارثة بن عوف بن كليب بن يربوع. اتفقت العرب علي أن شعراء أهل الإسلام ثلاثة جرير والفرزدق والأخطل واختلفوا في تقديم بعضهم علي بعض.

(٢) عبد الملك بن مروان: بن الحكم الأموي القرشي أبو الوليد ، نشأ في المدينة، ولد سنة ٢٦هـ، استعمله معاوية علي المدينة وهو ابن ١٦ سنة، انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥هـ، ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلي العربية وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وأول من نقش بالعربية علي الدراهم. توفي سنة ٨٦هـ. (أنظر الأعلام، للزركلي ، ج٤/١٦٥، مرجع سابق).

(٣) ابن أبي النجم: هو الفضل بن قدامه العجلي، أبو النجم، من بني بكر بن وائل، من أكابر الرجاز، ومن أحسن الناس إنشادا للشعر، نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام توفي سنة ١٣٠هـ (أنظر معاهد التنصيص علي شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن أحمد العابسي، بيروت، عالم ١٣٦٧هـ – ١٩٧٤م، ج١/١٨ ، والأعلام، للزركلي، ج٥/١٥١

(٤) العمدة لابن رئيق، ص١٩٥، ديوان ذي الرمة، ص١

وقد مدحوا المطالع التي تناسب الحال والمقام

قال العسكري[1]" أحسن ابتداءات الجاهلية قول النابغة"

كِلِيني لِهَمّ يا أُمَيمَةَ ناصِبِ ** وَلَيلٍ أُقاسيهِ بَطيءِ الكَواكِبِ

وأحسن مرثية جاهلية ابتداء قول أوس بن حجر[2]

أَيَّتُها النَفسُ أجمِلي جَزعا ** إنَّ الذي تَحذَّرينَ قَد وَقَعا[3]

وإذا جئنا إلي القصائد الطويلة التي هيا الشاعر لها كل أسباب فنه ومواهبه نجدها تبدأ بالدار والوقوف علي الأطلال وبكائها والتأمل فيها، فالديار هي ديار الحبيبة، ديار الزكريات، فهي قطعة من الماضي العزيز الذي يثير في نفسه الشوق والحنين وهذا هو أسلوب المعلقات في الاستهلال ، فامرؤ القيس يقف الديار ويستوقف:

قِفَا نَبكِ مِنْ ذكرَى حَبِيبٍ وَمنْزِلِ[4] ** بِسقْطِ الْوَىَ بَيْنَ الدُّخُولِ فَحوْملِ

وتبعها لبيد في وصف الديار[5]

عَفتِ الدِّيَارُ مَحَلهَا فَمُقَامُهَا ** بمني تأبد غَوْلَها فرِجَامُهَا

وزهير يتحدث عن دمن أم أوفي يقول

أمن أم أوفي دمنة لم تكلم[6] ** بحَوْمانَه الدّرّاج فَالمَتَثَلَّم

---

(1) العسكري: هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيي بن مهران العسكري، كان حيا ٣٩٥هـ، من تصانيفه كتاب الصناعتين في النظم والنشر والمحاسن. ديوان شعر. والفروق في اللغة. (معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج٥٦٠/١، مرجع سابق).

(2) أوس بن حجر: بن مالك التميمي، أبو شريح، شاعر تميم في الجاهلية وهو زوج أم زهير بن ابي سلمى، لم يدرك الإسلام، ولد سنة ٩٨هـ. (أنظر الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٣١/٢)

(3) كتاب الصناعتين، ص٤٩١، ديوان النابغة، ص٢٩

(4) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٤٥، ديوان امرؤ القيس، ص٢٥

(5) شرح القصائد العشرة، الخطيب التبريزي، ص٩٥

(6) المرجع السابق، ص٢٠٠

وعنترة[1] يعترف علي الديار بعد طول توهم:

هَلْ غَادَرَ الشُعَراءُ منْ مُتَرَدّمِ ** أَمْ هلْ عرفْتَ الدّارَ بعْد تَوَهُم

وقد شذ عمرو بن كلثوم[2] فقد كان مندفعا إلي الكاس وشربها ليهيئ نفسه لعتاب غمر بن هند فبدأها بقوله:

ألا هُبّي بِصَحْنِكِ فَأصبَحينَا ** ولا تُبقِي خُمورَ الانْدرينَا

هذا هو الأسلوب العام في ابتداء المطولات، البدء بالديار وحديثها وذكرياتها، ولكن هذا لا يعني إن كل الشعر الجاهلي كان يفتتح بذكر الديار، فكما شذت معلقة عمر بن كلثوم ، فقد شذت قصائد كثيرة عن هذا الأسلوب، فمن الشعراء من قبل استبدل الغزل بالديار، والحديث عن النفس كما فعل زهير بن ابي سلمي في قصيدته التي يمدح فيها حصن حذيفة:

صَحا القَلبُ عَن سَلمي وَأقصَرَ باطِلُه ** وَعُرَّيَ أفراسُ الصِبا ورَوَاحِلُه

وعلي هذه الشاكلة من الخروج علي قاعدة البد بالديار شعر الصعاليك في أكثره فهو يستعيض عن الديار بمحاورة النساء اللواتي يشفقن عليهم من خوض الغمرات والوقوع في المهالك.

وكذلك خاطب عروة بن الورد[3] امراته سلمى ابنه منذر بأن تدعه وشأنه في حياة الصعلكة جزئياً غازياً ببيع نفسه لموت شريف فيقول:

أقلي عليّ اللَومَ يا أُم مالِك ** فَلَم يُؤتَ من حرص عَلي المال طالبُه

والذي بين أيدينا من مطولات الشعر الجاهلي تدور مطالعها حول الديار، وإذا ضربت عن ذكر الديار، فالي المرأة والتشبيب وأحاديث النفس، نجد أن بعض القصائد القصار والمقطوعات، لم تذكر الديار ولا المرأة وهذا لا يقاس عليها، لأنها تجربة شعورية محدد، ولكن طوال القصائد تتناول هذين الموضوعين المرأة والديار[4]

([1]) عنترة بن شداد وقيل عمرو بن شداد وقبل عنترة بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة أمه حبشية يقال لها زبيدة، قد كان شداد نفاه مرة ثم أعترف به فألحق بنسبه وهو فارس وشاعر. توفي نحو ٢٢ق. هـ.(أنظر الأعلام، ج٥/٩١)

([2]) عمر بن كلثوم : عمر بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن ربيعة بن زهير بن بكر، يكنى أبا السود وقيل أبا عمير وهو فارس وشاعر مقدام كان خطيباً حكيما أوصى بنيه بوصية بليغة مشهورة هي معلقته. توفي نحو ٤٠ق. هـ(أنظر الأعلام، ج٥/٨٤)

([3]) عروة بن الورد: عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله بن ناتب بن هريم بم لويم بن عوذ بن غلفان، شاعر الجاهلية وفارس من فوارسها فوارسها وصعلوك من صعاليكها يلقب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم. (الأعلام، الزركلي، ج٤/٢٢٧).

([4]) ديوان أبي تمام، ص٤٠ بناء القصيدة في النقد القديم في ضوء النقد الحديث، ص٢٠٧

فقد حدد النقاد شروط للمطلع الجيد فلا بد أن يكون:

١/ أن يكون المطلع فخما، وله روعته

ومن ذلك قول ابي تمام:

السَيفُ أصدَقُ أنباءً مِنَ الكُتُبِ[١] ** في حدِه الحدُ بيَنَ الجَدِ واللعَبِ

٢/ أن يكون بعيدا عن التعقيد، لأنه أول العي، ودليل الفهمة وقد أخذ علي المتنبي قوله:

ارَقُ علي ارَقٍ وَمَثِلِيَ يَأرَقُ ** وَجَوىً يَزيدُ وَعَبرَةُ تَتَرَقرقُ

٣/ أن يكون نادرا أنفرد الشاعر باختراعه، ومن مثل قول المتنبي[٢]

أتُراها لِكَثَرَةِ العُشّاقِ ** تَحسَبُ الدَمعَ خِلقَةً في المَآقي[٣]

٤/ أن يكون خاليا من الماخذ النحوية، وأن تراعي فيه جودة اللفظ والمعني معاً وعاب النقاد علي أبي تمام[٤]

سلم علي الربع من سلمى بذي سلم عليه وسم من الأيام والقدم

لأنه جاء بالتجنيس في ثلاثة ألفاظ، وإنما يحسن إذا كان بلفظين

٥/ أن يكون باردا من مثل قول أبي العتاهية[٥]

ألا ما لسيوف مالها ** أدلت فأحمل أدلاها

والمطالع الرديئة فقد فسرها ابن رشيق وأرجعها إلي الشاعر نفسه يقول: " وإنما يؤتي الشاعر في هذه الأشياء العيوب إما من غفلة في الطبع وغلظ، أو من استغرق في الصنعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أينما يكون[٦]

---

(١) النقد الحديث، ص٢٠٨، ديوان المتنبي ، ج٢، ص٣٣٢

(٢) المتنبي : ابي الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الشاعر المعروف بالمتنبي. ولد بالكوفة ونشأ بالشام، خرج المتنبي من بغداد إلي فارس فمدح بها عضد الدولة وأقام عنده مدة، ثم رجع يريد بغداد فقتل في الطريق سنة ٣٥٤هـ، من آثاره ديوان شعر، الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور المسعاني، ت٥٦٢هـ ، تحيق محمد عبد القادر عطا، ط١ بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، ج٥، ص٧، ص٧٢. ومعجم المؤلفين، ج١، ص١٢٦.

(٣) بناء القصيدة في النقد القديم في ضوء النقد الحديث، ص٢٠٩-٢١٠

(٤) أبو تمام: هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أحمد أمراء البيان، ولد في جاسم (من قرى ديوان بسوريا)، فاقام في العراق ، ثم ولي بريد الموصل وتوفي بها سنة ٢٣١هـ ومن آثاره ديوان شعر، (أنظر معاهد التنصيص علي شواهد التلخيص ، ٣٨/١، مرجع سابق).

(٥) أبو العتاهية: هو إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء، العيني المعروف بأبي العتاهية، ولد بعين تمر، ونشأ بالكوفة، ثم سكن بغداد وتوفي بها سنة ٢١١هـ. أكثر شعره حكم وأمثال، من آثاره ديوان شعر. (أنظر مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لليافعي، ط١، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج١، ص٣٧٤

(٦) العمدة، لابن رشيق ، ص١٩٥

مقدمة القصيدة:

مقدمة القصيدة ظاهرة كبرى في شعرنا القديم من اللافت للنظر أنها لم تكن واحدة حتى في العصر الجاهلي، فإلي جانب المقدمات الغزلية والطللية مقدمات أخرى في الشيب والطيف وغيرها.

حيث تناول النقاد مقدمة القصيدة نظروا إليها من خلال القصيدة الجاهلية التي استمدوا منها قواعدهم وبنوا عليهم أصولهم(١)

نص ابن قتيبة السابق يكشف لنا عن أشياء في فهم ابن قتيبة لقصيدة، فهو يري أن القصيدة تتألف من الوقوف علي الأطلال والغزل ووصف الرحلة يؤكد ابن رشيق حيث يعيب الشعراء الذين يهجمون علي الفرض مكافحة، ويتناولونه هامشا من غير أسباب ولا يجعلون لكلامهم بسبا من النسيب، وتسمى قصائدهم في هذه الحالة البتراء كالخطبة البتراء(٢)

يكشف النص عن سبب المقدمة وأهمية هذا السبب، فالأطلال لذكر أهلها الظاعنين، والغزل لاستمالة القلوب واستدعاء أصغاء الأسماع، ويؤكد ابن رشيق هذا ايضا فيقول: وللشعر مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب، لما فيه من عطف القلوب، واستدعاء القبول، بحسب ما في الطباع من حب الغزل، والميل إلي اللهو والنساء وإن ذلك استدراج إلي ما بعده(٣)

ويري يوسف حسن بكار أن هذا التعليل والترويج لحتمية الغزل مقدمة للقصيدة فيه إفراط وتفريط لأن الحجة القائمة علي أن الله جعل محبة الغزل وآلف النساء في تركيب العباد لا تعني استغلالها بهذا الشكل وفي كل مجال لتصبح شرطا لا بد للشاعر من الإتيان عليه في مقدمة قصائده التي لم يستثنوا منها إلا الرثاء الذي لم يكن عادة الشعراء أن يقولوا قبله غزلا مثلما هو الشأن في سائر الأغراض فيما عدا قصائد معدودة. (٤).

---

(١) لعمدة، لابن رشيق ، ص٢١٢

(٢) المرجع السابق، ص٢١٢

(٣) المرجع السابق، ص١٩٧

(٤) بناء القصيدة في النقد العربي القديم، ص٢١٣

ويخلص إلي القول بأن قطعة النسيب في مطلع القصيدة الجاهلية كانت المجال الذي يصور فيه الشاعر إحساسه بتلك العناصر الكونية وموقفه منها وأن الشاعر قد جمع في قطعه النسيب بين عنصرين، أحدهما يذكر بالفناء وهو الأطلال والأخر يذكر بالحياة هو الحب، واجتماع هذين النقيضين وارتباط أحدهما بالآخر تأكيد لإحساس الشاعر بالتناقض العام سواء في العالم الخارجي أو عالمه الباطني هذا التناقض ليس تناقضا فكريا أو لفظيا، بل تناقض وجدي يتمثل في واقع الحياة، كما يتمثل في كيان الفرد الحسي، وهذا ما يفسر للناقد أن مقدمة القصيدة لم تكن إلا تعبيراً عن الا أزمة الإنسان في ذلك العصر، وعن موقفه من الكون وخوفه من المجهول[1].

والقصيدة المؤلفة عن نظام دقيق، ينبغي استهلالها بالنسيب، والحنين إلي الحبيبة النائية، وذلك الحنين الذي يعتري الشاعر عند رؤية أطلالها الدائرة وهو راكب في القفار [2]

وقد أصبحت المقدمة الطللية بكل صورها وألوانها تؤدي وظيفة خلق هذا الجو الشعري، الذي يمنح الشاعر القدرة إلي القول، لأنه يصبح في حالة معاناة شعرية حادة، تمده بالمشاعر التي تمكنه من التنفيس عن كل ما يحتبس في نفسه من الإحساسات، يدور في ذهنه من الأفكار والحوادث، وهو في نفس الوقت يهيئ الجو المناسب للمستمع الذي يجد في هذه المعاناة شبها لما يحسه هو، فينشئ الشاعر بهذه البداية لنفسه ولسامعه وقارئه حالة شعورية مليئة بعواطف الحنين والشوق والاستعداد للإنشاد أو الاستماع أو المتابعة يبتعد فيها الإنسان عن كل ما يحيط به، أو يتصل بحياته القريبة، وهذا ما دفع الشعراء إلي التزامها، والتقيد بمعاينها، والمحافظة علي اصولها.

ولا شك في إنها تمثل تجربة الرحلة التي قامت عليها الحياة الجاهلية، فالحنين إلي الطلل يمثل الحنين للوطن، لأن الطلل وما يحيط به وما يتناثر حوله من الدمن يمثل مجموعة الذكريات التي عاشت في ذهنه، فحفظ لها أجمل الأوقات وأسعد

---

(1) بناء القصيدة من النقد العربي القديم، ص٢١٣

(2) الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص٣٦١

الأيام، فلا غرابة إذا وجدنا الشاعر الجاهلي يبرز ذاتية ويفرغ شخصيته، انعكست هذا الذاتية في الشكل العام للقصيدة الجاهلية فهو عند ما ينتهي من وقوفه عند الطلل الدارس، يتنقل إلي ما يتعلق بالطلل من ذكريات، ليس ذكريات أعذب في نفسه من ذكريات الأحبة، فيذكر حبيبته وذكرياته معها وطيفها ووصلها وهجرها ، وكل ما يتعلق بها[١]

وفي مفتتح القصائد الطوال يذكر الشعراء كثيرا من اسماء من يحبون، ويضيفون الطلل اليهن، وتعليل ذلك أنهما مقترنان اقترانا عاطفيا وذهنياً فضلا عن الاقتران المكني يقول طرفه: (لخولة اطلال) ويقول زهير: (امن أو اوفي) وفي الأبيات الأولي في معلقة امرؤ القيس يذكر : (أم الحويرث وأم الرباب) هذه أسماء لها واقع في حياة الشاعر وتجاربه، وله مع المسميات ذكريات وربما يلذ له أن يرددها علي لسانه ويتغنى بها في شعره

---

(١) الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص٢٦١

الفصل الثاني
الغزل

وفيه مقدمة وثلاثة مباحث
مقدمة عن حقيقة الغزل

المبحث الأول : الغزل عند الشعراء الجاهليين
المبحث الثاني : أثر البيئة والطبع في الغزل
المبحث الثالث : التخلص في القصيدة الجاهلية

مقدمة عن حقيقة الغزل

دارت علـي الألسـن والأقـلام منـذ عهـد بعيـد هـذه الكلمـات الـثلاث الغـزل، النسيب، والتشبيب، واختلف في مدلولها، أهي مترادفات تؤدي معني واحد، أم هي مختلف الدلالة.

ويحسن بي أن ألم في إيجاز بما أدلي به اللغويون والأدباء، ثم أختار الرأي الذي أميل إليه.

ابن سيدة[١] يقول: أن الغزل تحديث الفتيان الجواري أو التغزل، وتكلف ذلك والنسيب: التغزل بهن في الشعر، والتشبيب مثله[٢]

وابن منظور [٣] يقول: إن الغزل حديث الفتيان والفتيات والفتيات واللهو مع النساء، ومغازلتهن: محادثتهن ومراودتهن، والتغزل التكلف لذلك، وفي المثل هو أغزل من امرئ القيس.

ويقول في موضع آخر: نسب بالنساء ينسب نسبا[٤] ونسيبا ومنسبه، شيب بهن في الشعر وتغزل[٥] وفي موضع ثالث: شيب بها أي ينسب بها[٦].

فالكلمات مترادفات في رأي هؤلاء ، وهم أكبر علماء اللغة

فما رأي الأدباء؟

ابن سلام[٧]: وهو – أول من كتب في تاريخ ألأدب – يستعمل الكلمات الثلاث متحدة المعني. يقول : كان لكثير في التشبيب نصيب وافر[١]

---

(١) ابن سيدة: علي بن إسماعيل الأندلسي المرسي الضرير، المعروف بابن سيده (أبو الحسن) عالم بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب، ولد بمرسية سنة ٣٩٨هـ، وتوفي بداية ٤٥٨هـ، من تصانيفه المحكم والمحيط ألأعظم، والمخصص. (أنظر معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، ٤٠٥/٢، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، لإسماعيل باشا البغدادي، طبعة استانبول ، ١٩٥١م، منشورات مكتبة المثنى ببغداد، ٦٩١/١

(٢) المخصص ٥٤/٤٠–٥٥

(٣) ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم بن نجيب الدين أبو الحسن علي بن أحمد الأنصاري الرويفعي الإفريقي، نزيل مصر، ولد سنة ٦٣٠هـ ، وتوفي سنة ٧١١هـ بمصر، من آثاره لسان العرب في اللغة عشرين مجلداً، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر. (أنظر هدية العارفين، ج، ص١٤٢)

(٤) لسان العرب ٤/٤

(٥) مرجع سابق ٣/٢

(٦) مرجع سابق ٤٦٣/٢

(٧) ابن سلام: هو محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم البصري الجمحي (أبو عبد الله) مولي قدامة بن مظعون، قدم بغداد سنة اثنين وعشرين ومائتين، توفي ٢٣١هـ من تصانيفه: طبقات شعراء الجاهلية، طبقات شعراء الإسلام. (أنظر كتاب الوافي بالوفيات، صلاح

ويقول: " سبق امرئ القيس العرب إلي أشياء ابتدعها... منها رقة النسيب(٢)

في العبارة الأولي يقول : إن كثيرا ذو تشبيب ، ويقرر أن الكثير كان له نصيب وافر في التشبيب وفي العبارة الثانية نجده ينسب إلي امرئ القيس رقة النسيب.

إذن فالنسيب والتشبيب معناهما واحد وأن الغزل والنسيب والتشبيب كلمات مترادفة في رأي ابن سلام.

ورأي ابن رشيق أن : التغزل والتشبيب مترادفتين في قول الجاحظ(٣)

" فأما الغناء المطرب في الشعر الغزل فإنما ذلك من حقوق النساء" وإنما ينبغي أن تغني بأشعار الغزل والتشبيب والعشق ولصبابه النساء اللواتي فيهن نطقت تلك الأشعار، وبهن شبب الرجال(٤).

وأن بعض القدماء والمحدثين دلوا التفرقة بين الغزل والنسيب والتشبيب ولكنهم أعتمدوا في تفرقتهم علي الذوق الشخصي.

فمثلا حاول التبريزي(٥) أن يفرق بينهما فقال: " النسيب ذكر الشاعر المرأة بالحسن والأخبار عن تصرف هواها به، وليس هو الغزل، وإنما الغزل والاشتهار بمودات النساء والصبوة إليهن، والنسيب ذكر ذلك والخبر عنه(٦)

لهذا أري أن أخذ برأي اللغويين والأدباء من القدماء، فلا أفرق بين مدلولات هذه الكلمات.

الدين خليل بن أيبك الصفدي، تـ ٧٦٤هـ، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفي، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، ج٣، ص٦٩)

(١) طبقة الشعراء، لابن سلام، ج٢، ص١٨٤

(٢) المرجع السابق، ص٢٠٣

(٣) الجاحظ: هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، البصري، أبو عثمان ولد بالبصرة، وسمع من ابي عبيدة الأصمعني وأخذ النحو عن الأخفش أبي الحسن، ينسب إليه الفرقة الجاحظية، أقام ببغداد مدة، من تصانيفه: الحيوان، البيان والتبيين، رسائل الجاحظ. (أنظر هدية العارفين، ٨٠٢/١، مرجع سابق)

(٤) رسالة العشق والنساء، ص١٦٥ من مجموعة رسائل الجاحظ.

(٥) التبريزي: يحيي بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني، المعروف بالخطيب التبريزي، نشأ ببغداد، ورحل إلي بلاد الشام، ولد سنة ٤٣٧هـ، وتوفي ببغداد. من تصانيفه: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، شرح المعلقات، شرح سقط الزند، لأبي العلاء المعري. (انظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج١٧٢/٣، مرجع سابق، والأعلام للزركلي ، ج١٥٧/٨

(٦) شرح ديوان الحماسة، ج٣، ص١١٢

وقد أخترت كلمة الغزل دلالة علي ألأنواع كلها، لأنها أخف نطقا وأكثر شيوعا، وإلي ذلك ذهب الدكتور طه حسين[١]، حيث يقول : " ينقسم الغزل أيام بني أمية إلي ثلاثة أقسام أكثر شيوعاً: أحدهما غزل العذرين الذين كانوا يتغنون في شعرهم هذا الحب العفيف، والثاني غزل الإباحيين الذي كانوا يتغنون الحب، والثالث الغزل العادي الذي ليس هو حقيقة... إلا استمرار للغزل القديم المألوف أيام الجاهليين"[٢].

---

(١) طه حسين بن علي بن سلامة الدكتور في ألأدب من كبار المحاضرين، جدد مناهج، ولد في قرية الكيلو بالصعيد المصري، أصيب بالجدري في الثالثة من عمره، فكف عن بصره، بدأ حياته في الأزهر ١٩٢٠-١٩٠٨م، أول من نال شهادة الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة، ١٩١٤هـ بكتاب ذكري أبي العلاء من كتبه حديث الأربعاء في الأدب الجاهلي، في الشعر الجاهلي وغيرها. توفي في سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م. (أنظر الإعلام ، خير الدين الزركلي، ج٣/٢٣١).

(٢) حديث الأربعاء، ج١، ص٢٣٣

المبحث الأول

الغزل عند الشعراء الجاهليين

الغزل لغة مصدر الفعل الثلاثي غزل يَغزِلُ يتغزلُ بالنساء وهو نوعان غزل بدوي عفيف مقصور علي إمراة واحدة يمتاز بالصدق يسمي لرقته نسيبا ومثله عنترة بن شداد، وغزل بدوي مادي يتصف بالإباحة وتعدد المحبوبات ويسمي تشبيبا وقد مثله امرئ القيس الكندي لما طرق امراة حبلى وشغلها عن رضيعها

فَمِثْلِك حُبلى قَد طَرَقتُ وَمُرضِعٍ ** فالهَيتُها عَن ذي تَمائمَ مُحوِلِ

ومن أمثلة النسيب قول عنترة مخاطبا ريح الحجاز

ريحَ الحِجازِ بِحَقِّ من أنشاكِ ** رُدّي السَلام وَحَيَّ مَن حَيّاكِ

وامرئ القيس طالبا من فاطمة الاجمال في الهجران جامع مشاعر الحب

افاطِمَ مَهلاً بَعضَ هَذا التَدَلُّلِ ** وإِن كُنتِ قَد أزمَعْتِ صَرمي فأجمِلي

ويبدو أن الغزل سبق ظهور الموضوعات الأخرى لقول امرئ القيس الملقب بـ (زعيم الشعراء) في عصره(١)

إن كثيرا من الشعراء يصف الجمال ويصف ما كان يتزين به من طيب وحلي وثياب علي نحو ما تصور ذلك امرؤ القيس إذ يقول:

وَتُضحي فَتيتُ المِسكِ فَوقَ فِراشِها ** نَؤومُ الضُحى لَم تَنتَطِق عَن تَفَضُّلِ

ويقول المنخلا اليشكري(٢) في فتاته(٣)

الكاعب الحسناء ترفل في ** الدمقس وفي الحرير

ولم يقفوا علي جمالهن الجسدي، فقط فطنوا في جمالهن المعنوي وما تتحلى به من شيم وخصال كريمة علي نحو ما يقول الشنفري في زوجته أميمة(٤)

تَبيتُ بُعَيَد النَومِ تُهدي غَبوقَها ** لجِارَتِها إذا الهَديَةُ قَلَّتِ(٥)

---

(١) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، د. زبير دراق، ص٥٢-٥٣

(٢) المنخل اليشكري: هو المنخل بن مسعود بن عامر بن يشكر، شاعر جاهلي، كان ينادم النعمان بن المنذر، وهو الذي سعي بالنابغة إلي النعمان في أمر المتجردة. توفي نحو ٢٠ ق.هـ. (أنظر الأعلام، ج٧/٢٩١)

(٣) الاصمعيات ، ص٥٥

(٤) المفضليات ، ج٢٠

(٥) تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ط١١، ص٧٤-٧٥

فصاحبته وقوره وكريمة تؤثر جارتها وإنها مثال العفة والجلال، وكانوا يفتتحون قصائدهم بذكرهن وما كان لهم من ذكريات علي نحو ما يقول امرئ القيس في معلقته

قِفَا نَبكِ مِنْ ذكرَى حَبِيبٍ وَمنْزِلِ ** بِسقْطِ الْوَىَ بَيْنَ الدُّخُولِ فَحوْملِ

ليس في ديوان المفضليات سوى قصيدتين خالصتين للغزل واحدة للمرقش الأكبر وهي الدالة التي مطلعها:

سَرى لَيْلاً خيالُ مِنْ سُلَيْمى ** فأرّقَني وأصْحابي هُجُودُ

والقصيدة الأخرى للمرقش الأصغر وهي الميمية التي مطلعها:

ألا يا سْلَمِى لا صُرْمَ لِي اليومَ فاطِما ** ولا أبَدا ما دامَ وَصْلُكِ دائِما(١)

ثم يقدم فكرة تدور حول الصداقة ثم يتحدث عن أحلام اليقظة التي كان يستغرق فيها كلما ألمت به ذكرى صاحبته

أمِنْ حُلُم أصْبَحْتَ تَنْكُتُ واجِما ** وقَد تَعتَرِي الأحلامُ مَنْ كانَ نائِما(٢)

إن النسيب أكثر أبواب الشعر العربي وأكثر الشعراء الجاهليون وابتدأ به قصائدهم(٣).

وإن النسيب هو ذكر جمال المرأة ووصف محاسنها وإن الغزل والنسيب متقاربان في المعني وإن كان بعض الباحثين يعرف بأنه الأشهار بمودات النساء والتشبيب قاصر علي ما يأتي به الشاعر في مطلع من ذكر المرأة والأطلال والديار وذكر اللقاء والحب وبعض الباحثين يري أن الجميع بمعني واحد لاختلاف في مدلولها.

وأن امرؤ القيس في لاميته المشهورة:

تَصُدُ وَتُبدي عَن أسيلٍ وتَتَّقي ** بِناظِرةٍ مِن وَحشِ وَجرَةَ مُطفِلِ

وَجيدٍ كَجيدِ الرئِمِ ليسَ بفاحشٍ ** إذا هِي نصّتهُ وَلا بمُعَطَّلِ(٤)

ولا تكاد تخلو قصيدة عمرو بن كلثوم

---

(١) المفضليات، ج٤٦ ، ص٢٢٣

(٢) المرجع السابق، ج٥٦، ص٣٤٤

(٣) معلقة امرؤ القيس ، ص٢٩

(٤) معلقة امرؤ القيس ، ٢٩

قِفِي قَبلَ التَفَرُّقِ يا ظَعينا ** نُخَبِّركِ اليَقينا وَتُخبرِينا

قِفِي نَسألك هَل أحدَثت صَرْماً ** لِوَشْكِ البَيْنِ أم خُنْتِ الأمِيناَ(١)

وقال زهير في غزله:

أمِن أُمِّ أوفي دِمْنةُ لَم تَكَلَّمِ ** بِحَومانَهِ الدُرّاجِ فَالمُتثَلّمِ

وَدارُ لَها بالرَقمَتَينِ كَأَنّها ** مَراجِعُ وَشمٍ في نَواشِرِ مِعصَمِ(٢)

وقال طرفه هي قصيدته المفردة في الغزل يصف ثغرها العذب النضيد ومطلعها"

وتبسم عن المي كأن منورا تخلل حرة الرمل وعقب له ندى(٣)

سئل لبيد(٤) من اشعر الناس؟ فقال الملك الضليل، ثم الشاب القتيل، ثم الشيخ أبو عقيل يعني نفسه(٥) وهو من أصحاب المعلقات.

ويبدأ لبيد يذكر الديار ثم يصف رحيل أحبابه عنها حيث يقول:

بَل ما تَذَكّرُ مِن نَوارَ وَقَد نَات ** وتَقَطَّعَت أسبابُها وَرِمامُها

مُرّيّةُ حَلّت بِفَيدِ وَجاوَرَت ** أهلَ الحِجازِ فأينَ مِنكَ مَرامُها(٦)

وقال الحارث بن حلزة اليشكري(٧) وتمتاز معلقته بتنوع أغراضها بدارها بالغزل في محبوبته أسماء:

اذَنَتنا بِبَينِها أسماءُ ** رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنهُ الثَواءُ

بَعدَ عَهد لَها بِبُرقَةِ شَمّا – ء فأدنى ديارَها الخَلصَاءُ(٨)

---

(١) معلقة عمرو بن كلثوم، ص٩

(٢) معلقة زهير ، ص١، ٢

(٣) معلقة طرفة، ص٤

(٤) لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام، ووفد علي النبي صلى الله عليه وسلم، يعد من الصحابة ومن المؤلفة قلوبهم، ترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، وسكن الكوفة وعاش عمراً طويلاً، أحد أصحاب المعلقات السبع، توفي سنة ٤١هـ(أنظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر القرطبي، تـ ٤٦٣هـ، تحقيق علي محمد معوض، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ج٣، ص٣٩٢، والأعلام، ج٥، ص٢٤٠).

(٥) الشعر والشعراء، ج٢، ص٨٨

(٦) الشعر والشعراء، ص٢٩٣

(٧) الحارث بن خلة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي ، شاعرت جاهلي من بادية العراق وهو أحد اصحاب المعلقات ، ارتجل معلقته بين عمرو بن هند الملك، بالحيرة، من آثاره ديوان شعر، توفي في ٥٠ق.هـ.(أنظر الأعلام، للزركلي، ج٢، ١٥٤)

(٨) تاريخ ألأدب العربي في العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، الطبعة العشرون، ص٣٦١

الغزل عند الأعشى[١] :فيه رقة[٢] وشدة في التعلق بالمحبوبة وخاصة حين الوداع وذلك في معلقته:

وَدَّع هُرَيرَةَ إنّ الرَكبَ مُرتَحِلُ ** وَهَل تُطيقُ ودَاعاً أيُها الرَجُلُ

غَرّاءُ فَرعاءُ مَصقولُ عوارضها ** تَمشي الهُوينا كَما يَمشي الوَجى الوَحِلُ

فهو يأمر قلبه أن يودعها قبل الرحيل وهي صبابة لا نعرفها عند الجاهليين، إنما نعرفها عند الأعشى صاحب الذوق الرقيق فهو مشيب بصاحبته فهي موضوع حبه وغزله وتارة يصف شعرها وعوارضها ويصف مشيتها.

وقال عنترة في معلقته التي بدأها بالغزل في ابنة عمه عبلة ومخاطب ديارها ذات الذكريات الجميلة قال:

هَل غادَرَ الشُعَراءُ من مُتَرَدَّمِ ** أم هَل عَرَفتَ الدارَ بَعدَ توَهُّم

يا دارَ عَبلَة بالجَواءِ تَكَلّمي ** وَعَمي صَباحاً دارَ عَبلَةَ وَأسلَمي[٣]

وقد ذكر إبراهيم بن سعد الزهري[٤] أنه جاءه رجل من بني عزرة لحاجة، فجرى ذكر العشق والعشاق فقال: أأنتم أرق قلوبا أم بنو عامر، قال : إنا أرق الناس قلوباً لكن غلبتنا عامر بجنونها[٥].

قيل لأعرابي : ممن أنت؟ فقال: من قوم إذا أحبوا ماتوا، فقالت جارية سمعته: عزري ورب الكعبة[٦]

فلا عجب إن ترددت أخبار عشهم وعشاقهم[٧]

---

(١) الأعشى: ميمون بن قيس بن جندل بن شراحبيل بن عوف بن سعد المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير(أبو بصير) من شعراء الجاهلية وأصحاب المعلقات، ولد في قرية منفوخة باليمامة قرب مدينة الرياض ، كثرت الألفاظاظ الفارسية في شعره. أدرك الإسلام ولم يسلم. توفي ٧هـ. (أنظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج٣، ص٩٤٩.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة

(٣) معلقة عنترة، ص١

(٤) إبراهيم بن سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أبو اسحاق الزهري من العلماء بالحديث، الثقات، من أهل المدينة المنورة، روى

(٥) الأغاني، ج١، ص١٧٣

(٦) وفيات الأعيان، ج١، ص٢٠٣، وعيون الأخبار، ج٤، ص١٣١

(٧) ديوان الصبابة، ج٢، ص٥٥

كان الشاعر يتغزل فيمن أحبها، هو يعلم صراحة العقاب المعد له، ولكنه يتغزل ليخفف من الحب الذي يحمله، فهو يشبع ويشتهر فيه فيرفض آل المحبوبة أن يزوجوه، لأن العرب كانت لا تنكح الرجل امرأة شلل بها قبل خطبته لهذا الأمر حرم عنترة زواج عبلة لأنه مدح بحبها وتغزل فيها[1].

أنواع الغزل:

الغزل ينبعث عن عاطفة الحب، إن هذا الحب إما أن يصطبغ بصبغة روحانية عفيفة فيوحي بالغزل العذري، إما أن يصطبغ بميل حسي شهوري فيوحي بالغزل الحسي.

فالغزل الصادق عن العاطفة المصور لها نوعان آخرين من الغزل، هما الغزل التمهيدي والغزل الكيدي، والتمهيدي أحيانا يصور عاطفة يكون عزرياً روحياً وأحياناً عاطفة ٠فيكون هو الكيدي غزلا في شكله لا في حقيقته وباسمه لا بمعناه[2].

الغزل العذري:

غزل روحي خالص لا تخالطه نوازع جسدية اشتهر فيه بنو عزرة ونسب إليهم، وهذا الغزل فيه صدق العاطفة وحرارتها والاقتصار علي محبوبة واحدة، والعناية بجمالها النفسي أكثر من الحسي وهذا الغزل المقصود لذاته وليس وسيلة إلي غرض آخر، ولكن هذا لا يقلل من قيمته، لأنه غزل صادق[3] وقد مثله عنترة بن شداد[4].

الغزل الحسي:

هو المادي الذي أساسه تمتزج به ميول شهوانية أو عواطف خالية من التحرج وأوصاف ربما لا يرضي عنها وهو تعبير عن الحب والشوق والاستمتاع بالمرأة الجميلة في نظر الشاعر، فليس متسما بالروحانية التي وجدناها عند العذرين، ولا حافلا بالأشواق الملتهبة والنغم الحزين ولا مقصور علي امرأة واحدة يتغني الشاعر حياته بحبها ويفي لها، وقد يجمع في قلب الشاعر حب اثنين في آن واحد في كل

---

(1) المرجع السابق، ص٢٤

(2) الغزل في الشعر الجاهلي ، ص١٦٥

(3) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص٥٢

(4) المرجع السابق، ص٢٥٠

منهما قرب من الجمال يرونه[١] فهو غزل حضري مادي يتصف بالإباحية وتعدد المحبوبات ويسمي للهو تشبيبا وقد مثله امرؤ القيس الكندي[٢].

الغزل التمهيدي :

هذا الضرب من العذري وفيه من الحسي وفيه لون ثالث لا هو عذري ولا هو حسي وإنما هو من الغزل مصطنع وكان لا يقال في مطلع القصائد.

أما العذري فيمثله عنترة في أول معلقاته في مطالع بعض قصائده مثل قوله:

أشَـاقَكَ مِـن عَبـلَ الخيـالُ المُـبَهجُ ** فقَلبُـــكَ مِنـــهُ لاعِـــجُ يَتـــوهّجُ

أما الحسي وإن كان أقل فحشاً فيمثله غزل امرؤ القيس في أول المعلقة أما الصناعي الذي لم تعثه عاطفة عذري ولا حسي فكثر[٣].

الغزل الكيدي:

هذا النوع من الغزل لا هو عذري ولا هو حسي ولا هو تمهيدي فليس عذرياً ولا حسياً، لأنه غير مبعث من عاطفة ليس تمهيدي، لأن الغرض فيه لم يكاد إعداد النفس للإنتاج، وتهيئة الجو للموضوع وإعداد السامع للأصغاء، وإنما كان الغرض منه الكيد والإغاظة وتجريح الخصم والنيل من عرضه فهو لون من الهجاء يتسم بالتصوف في التعبير والتعفف في المعني فليس فيه إفحاش[٤].

فقد تغزل الشعراء في العصر الجاهلي فقد تغزل امرؤ القيس والنابغة والأعشي، تغزلوا وذكروا النسب، ولم يكونوا يعنون بدخائل نفوسهم، إنما كان الغزل عندهم ضربا من الوصف، كانوا يصفون بالعاطفة أو حرصاً علي تمثيلها، فإن كانت عندهم هذه العناية بالعاطفة لم تلبث أن تزدري هذه العاطفة ازدراء لأنها كانت عاطفة مادية غليظة أن صح هذا التعبير، وكانت عواطفهم تصدر عن الشهوات وإثار اللذة وقبل كل شيء، ومن هنا تجد عند امرئ القيس والنابغة مثلا هذا الوصف

---

(١) المرجع السابق، ص٢٥٠

(٢) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص٥

(٣) المرجع السابق، ص٢٨٦

(٤) الغزل في الشعر الجاهلي، ص٢٨٧

المادي الذي تناول أجزاء المرأة فيصفها وصفا تفصيلياً يختلف حظه من العفة فإن تركوا هذا الوصف إلي أنفسهم يصفوا ما تعاني الحب وما تلقي من آلامه.

نجد أن الغزل في العصر الجاهلي كان وسيلة في أكثر الأحيان لا غاية[١]

---

(١) حديث الأربعاء ، ص٢٢٥

المبحث الثاني

أثر البيئة والطبع في الغزل

الغزل الصادق في تصويره لمشاعر قائليه صادق أيضا في تصويره لبيئة قائليه وأخلاقهم وطباعهم وعاداتهم، فهو قد استوجب من البيئة الطبيعية والاجتماعية، وكان مصور له تصويرا أميناً[1].

فطن عرب الجاهلية علي البساطة، والبعد عن التصنع، شأن أهل البادية، لبعدهم عن شوائب المدنية، فهم علي الفطرة الطبيعية وعنوانها الصدق بكل معانيه، ويدخل فيه استقلال الفكر والشجاعة الأدبية والصراحة في القول والتعامل، فلم يتكلفون في شيء ولا يصطنعون في كلامهم، إنما يقولون ما ينحوا لهم ويصورنه كما يتمثل لمخيلتهم دون تعقيد.

تعودهم الاستقلال في شئونهم الشخصية ونفورهم من التعقيد بشيء حتى المكان، فإنهم لا يتوطنون، بل يجعلون منازلهم من ظهور أبلهم، فتمكنت الحرية في طباعهم حتى ظهرت في أقوالهم وأفكارهم وفي أشعارهم فإذا طرأ لهم خيال شعوري صوره كما يتخيل لهم.

البدوي يعبر عن حبه عن شوقه وهيامه يصف ما يشعر به تماماً فهو لا يبالغ بضعفه من الوجد حتى يزعم أنه صار خيالا أو طليقاً[2].

كان يحلون المرأة من نفوسهم محلا سامياً، وشاعت لهم حياة الحل والترحال أن ينعموا باللقاء ثم يشقوا بالفراق، فحلفت أشعارهم بوصف المرأة والديار[3].

احتل الحديث عن المرأة وحليها وجمالها وهجرها ووصالها صدور كثير من قصائد الشعر الجاهلي، وكأنما اتخذ منها كل شاعر ملهما يلهمه قصيدته، فهي مصدر الإلهام ومصدر الوحي والشعر، وقد يكون ما يدل علي مكانة المرأة عندهم، وإنها لم تكون يوما في موضع معين خاصة المرأة الحرة الشريفة، كانت تختلط بهم

---

(1) الغزل في العصر الجاهلي، ص٣١٢

(2) تاريخ آداب اللغة العربية، جرجس زيدان، ١٩٨٣م، ط١، ج٧٧، دار مكتبة الحياة بيروت – لبنان

(3) التاريخ الأدبي للعصرين الجاهلي والإسلامي ، ص٤٦

في كل أنحاء حياتهم في المرعي وفي الخيام، وفي السمر وأثناء الليالي المقمرة تبادلهم الأحاديث، وتبادل الحب والود الفطري.

وكثيراً ما كان بعض عشائر القبيلة تضطر إلي الرحلة وراء الغيث ومساقط الكلا، فكان كل منهم يحمل في أطوائه مع رحلته ذكريات الأيام الحلوة التي قضاها مع احدى الفتيات، يواصلها، وتتماد معه في الوصال البرئ.

وكان كثير من النساء الحرات الشريفات، تكفيهن الاماء مؤنه الطبخ، وضرب الخيام، وجلب الماء والغسل، فعشن حياة ناعمة مترفة يفرغن لانفسهن ويعتنين بجمالهن[١].

كانت البيئة العربية ذات أثر من إحلال المرأة العربية هذه المكانة والبيئة بما حفلت من جمال، وبما دفعت إليه من شظف العيش وجهده، وبما استلزمته من تعاون قبلي، خلقت من العرب فارسا يعتد بالبطولة والوفاء، وحماية الجار، ومن شيم الفارس أن يكون صادق العاطفة في حبه، يري في خضوعه لحبيبته وفي المخاطرة في سبيلها وحمايتها، مظهر من مظاهر رجولته، وكان طبيعياً أن تشغل المرأة فراغ ذلك المجتمع البدوي، لهذا كانت المرأة محور حديثهم ومتجه أفكارهم.

علي كل حال تمتعت المرأة الحرة بمكانة سامية، إذ كان من حقها أن تختار زوجها كما فعلت هند بنت عتبة[٢]، وكانت تشترك في الحرب وتسعف الجرحى، وتحمل الماء وتطوف بها علي الفرسان وقد تكون عيناً لقومها علي أعدائهم، إذا تقاعس أهلها واستكان أخوانها وتعدوا عن الأخذ بالثار حيث تلومهم وتعيرهم[٣].

عاشت المرأة العربية إلي جانب العربي وشاركته عيشه في السلم والحرب وقاسمته الحياة السراء والضراء وفي عيش قاسي وعنيف، فكانت مدار حديث الرجل وموضع فخره[٤].

---

(١) مقدمة القصيدة العربية، حسين عطوان، ص٥٢

(٢) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أم معاوية، أسلمت عام الفتح بعد إسلام وزجها سفيان بن حرب بن معاوية، شهدت أحد كافرة مع زوجها، توفيت في خلافة عمر في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق، توفيت سنة ١٤هـ. (أنظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر القرطبي، ٤،٤٧٤، مرجع سابق. والإعلام للزركلي، ج٩٨/٨).

(٣) النقد ألأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ج١٩٧٣/٧/١، ص١٨٩، الدار الثقافة – بيروت – لبنان.

(٤) المرجع السابق، ص٥٢

وعلي الرغم من أن الطابع العام كان العربي يحفل بالعاطفة لأنه يشارك فيها حبيبته، ولأنها مظر لخلق الفروسية فيه(١).

فمن أشهر المواطن التي أقيمت للعرب اللقاء والتحدث إليها، البيوت والخيام حيث ينشئون معاً، يلعبون ويتحدثون أحاديث توجد في عواطفهم، وتجمع قلوبهم، ثم يشبون ويشب الحب معهم، وما تكاد أعوادهم تشتد، وتدرك عقولهم حقيقة الحياة، وتتفتح عيونهم علي ذكريات الطفولة البريئة حتى يفصل بعضهم عن بعض لسبب من الأسباب، ولكن الذكريات تظل عالقة بأذهانهم(٢).

وكان يلتقيان أيضا في مضارب الخيام علي مدار فصول السنة وأن حياتهم قامت علي انتجاع مساقط العيش ومنابت الكلأ فما تكاد تستقر بهم النوى ويضربون خيامهم ويسيمون أنعامهم حتى تقتلهم النوى المختلفة كانوا يخرجون إلي المرعي، فيلتقون ويتبادلون الأحاديث ويؤلف الحب بينهم بينما الأحبة غارقون في نشوة اللقاء يدعو الداعي إلي الرحيل، فتعقل الإبل وتزم الأمتعة، ويظعن القوم مخلفين وراءهم قلوبا أحزنها الفراق(٣)، الفراق جحيم لا يطيقه المحب، لأن القرب يحيه، سواء أكان يسعد باللقاء أو يأمل أن يسعد، بل القرب يندي حرارة قلبه وإن يأمل أن يلقي محبوبته، يكفيه أنه يحي بقربها، ويتنفس من الجو الذي تعطره بأنفاسها(٤).

علي أن الفراق مستفن ببشاعة له أسمه في الإغراق في وصفه(٥) هذا الترحال أوحي بغزل باكي متفجع (٦)رحيل المحب أو المحبوبة من المناظر الهائلة والمواقف الصعبة التي تفتضح فيها عزيمة كل ما في العزائم، وتذهب قوة كل ذي بصيرة، وتسكب كل عين جمود، ويظهر مكنون الجوى، ولعمري لو أن طريفاً يموت في ساعة الوداع لكان معذورا...وإنما ساعة ترق القلوب القاسية وتلين ألأفئدة الغلاظ وإن حركة الرأس وإدمان النظر والزفرة بعد الوداع لهاتكة القلب وموصلة إليه(٧)

---

(١) الغزل منذ نشأته حتى صدور الدولة العباسية، ص١١

(٢) المرجع السابق، ص٥٤

(٣) الغزل في العصر الجاهلي، ص٣١٢

(٤) مقدمة القصيدة في العصر الجاهلي، ص٥٥

(٥) الغزل في العصر الجاهلي، ص٣١٢

(٦) الزهرة، لابن بكر محمد بن داؤد الاصبهاني، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥ن ، ٢٦٨/١، تحقيق إبراهيم السامري

(٧) الغزل في العصر الجاهلي، ص٣١٣

فالعرب تتشاءم من الغراب كلما ذكروا مما يتطيرون منه شيئا ذكروا الغراب معه[1] فقد كرهوا الغراب وتشاءموا منه لأنهم أعتقدوا أنه ينذرهم بفراق الأحباب، وكيف لا وقد اشتقت من أسمه الغربة والاغتراب والغريب[2] يصور امرؤ القيس حزنه وبكاءه حين الفراق بقوله[3]

كـأني غَـداةَ البَـينِ يَـوم تَحَمّلـوا ** لـدى سمُرات الحَـيّ نـاقِفُ حنَظَـلِ

عند ما تفارق الحبيبة المكان فلا تبقي إلا الذكري فيدعوا لدارها بالسقيا ويقول النابغة يريد وقفت بعد رحيلهم في حيرة وقفة جاني الحنظلة ينففها كل مرة يستخرج منها حبها[4]:

سقي دار سعدي حين حلت بها النوى ** فـأنعم منهـا كـل ربـع وقدقـد

كذلك يكره المكان الذي فارقته الحبيبة لأنه مرتبط بذكرى مرة، بعد أن تفارق الحبيبة المكان هو ينظر لدارها من بعيد لعله يري نارا في ربعها ليأنس برؤيتها كأنها حبل يصل بينهما، كما أنه يتحسس مهب النسيم لعله نسمة تمر بع حاملة شذي محبوبته، وكذلك يرتاح إلي ريح الصبا، وهم جميعا تهيج ذكراهم إذا ما هبت الصبا[5].

قال شهاب الدين النويري[6]: إنها ريح تهب من المشرق إلي المغرب، سميت كذلك ريح الصبا لأن النفوس تصبوا إليها، لطيب نسيمها وروحها، والصبوة الميل والعرب تحب الصبا لرقتها، ولأنها تجئ بالسحاب، والمطر وفيها الخصب[7].

---

(1) طوق الحمامة في الألفة والللاق، تأليف الإمام الفقيه أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ص٨٨، تحقيق حسن كامل الصيرافي، مطبعة القاهرة.

(2) كتاب الحيوان، تأليف ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ/ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ٤٤٣/٣

(3) الغزل في الشعر الجاهلي، ص٣١٣

(4) المرجع السابق، ص٢٩٤

(5) الغزل في العصر الجاهلي، ص٣١٧

(6) النويري: هو أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، ولد بقوص ونشأ بها ٦٧٧هـ، اتصل بالسلطان الملك الناصر، توفي بالقاهرة سنة ٧٣٣هـ ، من آثاره نهاية الإرب في فنون الأدب. (أنظر هدية العارفين، ج١، ص١٠٨)

(7)نهاية ألأرب في فنون الأدب، تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ٩٧/١، دار الكتاب للطباعة والنشر.

ويظهر أنها اقترنت بذكر الحبيبة لأنها نسيم لطيف يهب علي الصحراء بعد توهجها فيلطف الجو، ويبعث في النفوس نشاطا وخفة، فتصفوا من إرهاق الحر وضيقه، وإذ تتنفس النفس وينطلق الخيال، والأحلام والذكريات والأماني، وأن حملت الصبا مطر تمني الشاعر أن يجود ديار المحبوبة، لأنه الخير العظيم، الذي يتمناه الحبيب لحبيبته، لأن نزوله يبهج المحب فيود أن تشرك معه في بهجته حبيبته[١].

علي الرغم من أن بعضهم يتجلد عند الرحيل فلا يبكي ولا يحزن لما به، قال أوس بن حجر:

لا تحَزُنينـــــــي بِـــــالفرِاقِ فـــــإنّني ** لا تســـتَهِل مِـــن الفِـــراقِ شُـــؤوني

ولم يطيق بعضهم الفراق ولا يحتمل الصبر عليه فيرحل وراء المحبوبة يصور ذلك النابغة:

فـــــلا يـــــا بعـــــد لاي الحقنـــــي ** بـأولي الظعـن فـي عيلـة امـوت[٢]

إن العاشق ، يحيا لحبه وحبيبه، لا يرى الحياة إلا بعينيها، ولا يأنس إلا بقربها

---

(١)الغزل في الشعر الجاهلي، ص ٣١٨-٣١٩

(٢) الغزل في الشعر الجاهلي ، ص٣٢١

الظعائن والهوادج:

ترتحل المرأة الحبيبة في ركب صواحبها، فيشهد المحب هذا الركب فيحترق قلبه، ويشد نظراته بهودج المحبوبة، ويعلق به ولا ينسي في هذا الموقف أن يصف الهوادج والنساء وصفا تفصيلياً، ولا ينسي أيضا أن يذكرك الطريق أو الطرق التي سيقطعها الركب في دقة وإحاطة كأنه جغرافي يرسم طريق السير وهو في موقفه هذا يصور حزنه ووجيعته من هذا الرحيل كما سبق.

ذكر الشعراء طريق الظعائن في تفصيل: شبهوا الهودج بالسفن، وفي هذا تصوير آخر كما تهزهز الريح النخل، بالشجر وشبه النساء بظباء وصور جلستهن في الهودج وجمع امرؤ القيس الصور الثلاثة فشبه الهودج بالدوم، السفن والنخيل

فشبهتهم في الآل لمّا تكّمشوا ** حَدائِق دومِ أو سَفيناً مُقّيرا

فشبهّتَهُم في الآل لَمّا تَكَمّشوا ** حَدائِق دومِ أو سَفيناً مُقّيرا

والمرقش الأكبر يستهل من قصائده بالسؤال عن ظعن تطفو علي صفحة الرمال، كأنها شجرة الدوم، أو السفن العظام، سابحة بين بطن وادي الضباع، شمالاً لا سفع العاقاورة يميناً، وتلوح هوادجها علي ظهور ابل فتية وهي هوادج مكللة بثياب اليمن المزركشة الجميلة التي تسلب الأفئدة والألباب إلي هوادج أخرى علي ظهور نوق ضامرة قوية مدربة وهن قاصدات إلي موضع يقال له " سمسم" جاءت في السير لا يتلفتن ولا يستمعن لأصوات المحزونين شفت قلوبهم

لِمَنِ الظُعْنُ بالضُّحى طافِياتٍ ** شِبْهُها الدّوْمُ أوْ خَلايا سَفِين

جاعِلاتٍ بطْنَ الضّباعِ شِمالاَ ** وبِراقَ النّعافِ ات اليَمِينِ(١)

يصور الشاعر لنا استعداد القوم للرحيل، وما يسبقه من رد الإبل من المراعي وذم الأمتعة، وما يشيع في أثناء ذلك من حركة وأصوات، تبدأ القافلة فيمضي يحدد الطريق الذي يسلكون ويسيرون فيه بين السهول والجبال والرمال، وينتقل إلي وصف الهوادج، وصفا دقيقا ويبين فيه أنواع الثياب التي تكللها وألوانها

---

(١) مقدمة القصيدة في الشعر الجاهلي، ص١٣٧، ديوان امرؤ القي، ص٣٣١

المختلفة، بين سميك ورقيق، أحمر وغير أحمر وإن كان اللون الأحمر هو الغالب، بعد أن يفرغ من تصوير الهوادج يصف النساء بزينتهن وحليهن وعطورهن وثيابهن ومفاتنهن ووصف حليهن وكيف يفعلون وهذا وقت الزينة، أن المرأة إذا ما سافرت أخذت زينتها، لأنها تعلم أن نساء الحي سيرينها حتى يودعنها ولأنها تعلم أنها قد تلقي في الطريق نساء مرتحلات مثلها، فيوم سفرها يوم زينتها، لهذا كن يسببن بجمالهن وحليهن وحركاتها قلوب الرجال ذكر المرقش الأصغر[1] حى الظعائن

تَحلّـــيْنَ ياقُوتـــاً وشَـــذءراً وصِـــيغَةً ** وجَزْعـــاً ظَفَارِيّـــا ودُرّاً تَوائِمـــا[2]

كما أهتموا بزينة الهودج وأغطيتها فقد كان تصوير الشعراء تصويرا صادقا كما رأوا وأجمعوا علي أن غطاء الهودج أحمر، ويظهر أنه كان أحب الألوان عند العرب، ووصفوه بأنه منقوش طولاً وعرضاً[3].

ومن ترف المرأة وغنى آلهان أن تكثر أغطية الهودج وأستاره، وأن تكون مرقشة[4]

نجد أن بعض الشعراء استهلوا قصائدهم بوصف الظعن كقول الأعشي[5] في توديع ركب إلي هريرة:

وَدّع هُرَيَـــرة إنّ الرَكـــبَ مُرتحِـــلُ ** وهَـل تُطيـقُ ودَاعـاَ أيُّهـا الرَجُـلُ

نظم العرب الشعر في كل ما أدركته حواسهم وخطر علي قلوبهم، مما يلائم بيئتهم[6].

وكانت المرأة العربية ذات مكانة رفيعة في البيئة العربية، لذا تقرب الشعراء إليها وخطبوا ودها، وعرفوا قدرها، وما من شك أن هذه المكانة التي للمرأة مضافة إلي العوامل الأخرى من بواعث حب الرجل لها[1]

---

(1) المرقش الأصغر: هو ربيعة بين سفيان بن سعد بن مالك بن ظبية والمرقش الأكبر عم المرقش الأصغر عم طرفة بنت العبد وهو أشعر المرقشين وأطولهم عمرا.

(2) الغزل في العصر الجاهلي/ ص٣٢٨

(3) المفضليات، ص٢٤٥ – ديوان امرؤ القيس، ص٢٧

(4) المفيد الغالي في ألأدب الجاهلي، ص٥٩، ديوان الأعشي، ص١٤٤

(5) الأعشي: وهو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحبيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن فيس، وهو من شعراء الجاهلية وفحولهم

(6) الوسيط في الأدب العرب وتاريخه، للشيخ أحمد الأسكنري، والشيخ مصطفي عناني، ص٤٦، دار المعارف

أعز الرجل المرأة وأحبها، وقدم القصيد بذكرها وجزع علي هجرها أو ظعنها، ووقف علي أطلالها يندب شجرة ويبكي حظه، ويتذكر ماضيه السعيد[٢]

شعر الغزل ثروة عظيمة نابع عن تقدير العرب للمرأة وخضوعهم لسلطان الجمال والحب، ولم يكن من محض المصادفة أن بدئت المعلقات ومشهورات القصائد بالغزل والبكاء إطلال المحبوبة[٣].

الغزل أكبر عون في فهم هذه الحياة الاجتماعية فهو يرسم المرأة في لباسها وفي أعضاء جسدها وفي حركتها وتنقلها ومناهج عيشها، ويرسم ذوق العصر الذي كانت فيه، ويصور شكل قريب إلي الأدب وعواطف الشعراء[٤].

الغزل يتسم بالصدق الفني والبراعة في التصوير، هو أصدق تصويرا واستعدادا وتأثيرا بالبيئة والعقلية والطبع[٥].

الحياة العربية في العصر الجاهلي تطلبت القول في ألوان معينة من فنون الشعر، وأستجاب الشعراء الجاهليون لبيئتهم فصدقوا التعبير عنها، فلم يجمح بهم الخيال، أو يبعث بهم تقليد أمة من الأمم فيقولوا فيما لا يجدون مرآة في نفوسهم وفي بيئتهم، كذلك لم يقصروا في التعبير عن شيء واقع تحت حسهم أو أثر في نفوسهم، فجاءت أغراضهم الشعرية صدى لحياتهم.

كانوا يحلون المرأة من نفوسهم محلا سامياً، وشاعت لهم حياة الحل والترحال أن ينعموا باللقاء، ثم يشقوا بالفراق، فحفلت أشعارهم بوصف المرأة، ووصف الديار التي حلت منها وجعلوا ذلك مبدأ قصائدهم واستجابة لارق عواطفهم، وهي عاطفة الحب فقد كان شعرهم مرآة لبيئتهم وطبيعتهم[٦]

---

(١) الرحلة في القصيدة للجاهلية، وهبة رومية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، ص١٨٥، مؤسسة الرسالة بيروت.

(٢) الحياة العربية من الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، ط٤، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م، ص٢١٤، دار القلم بيروت – لبنان.

(٣) المرأة في الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، ط٢، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م، ص٦٥٤، مطبعة المدني – القاهرة.

(٤) الغزل منذ نشأته حتى صدر الدولة العباسية، ص١٤

(٥) الغزل في العصر الجاهلي، ص١٧

(٦) التاريخ ألأدبي للعصرين الجاهلي والإسلامي الأول، ص٤٦

المبحث الثالث

التخلص في القصيدة الجاهلية

التخلص معناه في سنة علماء البيان، أن يسرد الناظم والناثر كرمهما في مقصد من المقاصد غير قاصر إليه بإنفراده، ولكنه سبب إليه ثم يخرج فيه إلي كلام هو المقصود، بينه وبين الأول علاقة ومناسبة، وهذا نحو أن يكون الشاعر مستطلعا لقصيدته بالغزل حتى إذا فرغ منه خرج إلي المدح علي مناسب الأول، بينهما أعظم القرب والملائمة بحيث يكون الكلام أخذ بعضه برقاب بعض كأنه أفرغ في قالب واحد[١]

لما كانت القصيدة الجاهلية متعددة الأغراض في الغالب، بها فقد حرصوا حرصا شديد علي الاهتمام بالشكل، والدقة في الخروج من جزء إلي جزء خروجا يشعر بالتحام الأجزاء وتماسكها، لا بوجود حواجز واضحة بينها، من هنا جاءت العناية بالتخلص من المقدمة إلي الغرض الرئيسي، واشترط الدقة فيه، يري النقاد أن يصل الشاعر كلامه صلة لطيفة بلا انفصال للمعني الثاني عما قبله، بل يكون متصلا به وممتزجاً معه حتى يلتقي طرفا المدح بالنسيب وغيرها من الأغراض المتباينة ، التقاء محكما دون اختلال في النسق في أجزاء النظم لأن النفوس والمسامع إذا كانت متدرجة من فن مباين له ولما جامع بينهما وملائم بين طرفيهما ووجدت نفورا من ذلك ثبت عنه[٢].

ثم يتفاصل الناس في التخلص، فعلي قدر الاقتدار في النظم والنثر يكون حسن التخلص، والتخلص في النثر أسهل منه في النظم، لأن الناظم يراعي القافية والوزن، فيكون في ذلك صعوبة بخلاف الناثر، فإنه لا يراعي قافية ولا يحافظ علي وزن[٣]

---

(١) كتاب الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم الحقائق والإعجاز ،تأليف يحيي بن حمزة، العلوم البحتي ٣٣١/٣٣٠/٣، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان

(٢) بناء القصيدة في النقد العربي في ضوء النقد الحديث.

(٣) الطراز، ص٣٣١

غير أن ابن رشيق عرفه فقال: " أولي الشعر بأن يسمىّ تخلصا ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلي معنى ثم عاد إلي الأول وأخذ من غيره، ثم رجع إلي ما كان فيه" ويستشهد بقول النابغة في الاعتذار:

فَكَفَكفــــتُ مِنـــــي عَبـــرَةً فَرَدَدَتُهـــــا ** عَلــي النَخــرِ مِنهــا مُســتَهِلٌّ ودَامِــعُ

ثم وصف حالة عند ما سمع ذلك فقال:

فَبِـــــتُّ كَـــأنّي ســـــاورَتني ضَـــيئلَةُ ** مِـنَ الـرقُشِ فـي أنيابِهـا السُـمُّ نـاقِعُ

فوصف الحية والسليم الذي شبه به نفسه

إذا انتهينا من مقدمات القصائد، نسير مع الشاعر خطوة أخرى لنراه كيف يغادر الموضوع الذي ابتدأ به موضوع، ينتقل فجأة دون تمهيد، أو يمهد لذلك بأبيات وهل هنالك علاقة بين الديار والغزل وما بعدهما من ذكر الناقة والوصف أو الفخر؟

الشاعر المجيد هو الذي يحسن الانتقال، فيغادر موضوعه الأول إلي الذي يليه دون خلل أو انقطاع ويجعل معانيه تناسب إلي الموضوع الآخر، انسيابا بحيث لا يشعر قارئه بالنقلة، بل يجد نفسه في موضوع وانسجام ويمدحون لزهير بعض انتقالاته إلي المديح في مثل قوله:

إنّ البَخيــلَ مَلــومُ حَيــثُ كــانَ وَلَكِــنّ ** الجّــــوادَ عَلــــي عِلاتِــــهِ هَــــرِمُ

لزهير أساليب في الانتقال، فإذا كان في سياق الحديث عن صد صاحبته وهجرها يحدث نفسه أن يقطع حبال وصلها مثل ما قطعته، وينهض راحلا علي ناقته القوية المتينة فيقول:

فَصَــــــرّم حَبَلَهــــــا إذ صَـــــرّمَتهُ ** وَعـــــادي أن تُلاقيهــــا العَــــداءُ

بِــــآرِزَةِ الفقـــــارَةِ لَـــــم يَخُنهـــــا ** قِطــافُ فـــي الرِكــابِ وَلا خَــلاءُ[1]

ومثل زهير في هذا لبيد في معلقته

فــأقِطَع لُبانَــةَ مَــنِ تَعَــرّض وصَــلُهُ ** وَلَشَــــرُّ واصِـــلِ خُلّـــةٍ صـــرّامُها

كانت العرب في أكثرها شعرها تبتدئي بذكر الديار والبكاء عليها والوجد بفراق ساكنيها ثم إذا أرادت الخروج إلي معني آخر: قال: فدع ذا وسل الهم عنك بكذا كما قال امرؤ القيس:

فَـدَع ذا وسَـلَ الا هُـمّ عَنـكَ بِجِسـرةٍ ** وَلَشَــــرُّ واصِـــلِ خُلّـــةٍ صـــرّامُها

كانت العرب في أكثرها شعرها تبتدي بذكر الديار والبكاء عليها والوجد بفارق ساكنيها ثم إذا أرادت الخروج إلي معنى آخر: قالت: فدع ذا وسل الهم عنك بكذا كما قال امرؤ القيس:

فَـدَع ذا وسَـلَ الا هُـمّ عَنـكَ بِجِسـرةٍ ** ذُمــولٍ إذا صــامَ النَهــارُ وهَجّــرا

ربما تركوا المعني الأول وقالوا (عيسى) أو (هو جاء) فإذا أرادوا ذكر الممدوح... قالوا إلي فلان ثم أخذوا في مديحه[2] كما عني النقاد والأدباء بأمر الابتداءات، في الشعر والنثر علي سواء من ذلك براعة الاستهلال، فقد عنوا بالتخلص وبعضهم يسميه: الخروج، هو أن يكون النسيب أو نحوه كما هو في مقدمة القصيدة ممتزجا بما بعده من مدح وغيره كانت العرب في جاهليتها تتنقل فجأة بعقلها (د ع ذا) وعد عن ذا، إلي فلان قصدت، وما شاكل ذلك بل كانوا ينتقلون أحيانا دون شيء[3] الشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص لغيرهما الخاتمة[4] أن تخلصت الجاهليين كانت علي تصنفها محدودة في حدود معقولة، فقد

---

(1) العمدة لابن رشيق، ص ٢٠٨-٢٠٩

(2) ديوان النابغة، ص٥٣-٥٤

(3) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٢٥٥

(4) المرجع السابق، ص٢٥٥

تخلص لبيد مثلا من وصف الديار إلي ركوب الناقة، بل كان بعضهم لا يصطنع إلي التخلص ويكتفي بقول (د ع ذا).

فنجد أن لكل مقدمة صورتها العامة التي تشركها فيها أخواتها وملامحها الخاصة التي تتميز بها عن سواها يتخلص الشاعر إلي الناقة، وتختلف وسائل التخلص اختلافا لا يكاد يحكمه أمر، فيرحلها ضارباً في المفاوز متعسفا الفلوات والقفار، يصفها وصفا معنوياً أحياناً قليلة ووصفا حسيا في أغلب الأحيان، ثم يمضي فيشبهها بالثور الوحشي، ويحكي لنا طرفا من أخبار هذا الثور أو بحمار الوحش ويقص لنا جانباً أو أكثر من قصته، أو بالظليم فتقف علي طائفة من دقائق حياته وأسرارها وقد يشبهها بأكثر من حيوان في قصيدة واحدة، فإذا فرغ من قصته وخرج من حصن الصحراء العاري صار إلي غرض آخر هو المديح أو الهجاء أو الفخر أو غيرها وربما تخلص الشاعر من مقدمته وأنصرف إلي الظعائن ليرقبها بطرفه وقلبه[1].

وقد يتخذ الانتقال شكل التساؤل وبخاصة في سياق رحيل الأحبة كقول عنترة:

هَل تُبلِغَنّي دَارَهاَ شَدَنيّةُ ** لُعِنتْ بِمحْرُومِ الشّرَاب مُصَرّمِ

وهنالك أساليب كثيرة في التخلص والانتقال وقد يستخدم الشاعر لذلك الاستفهام أو الإشارة أو بعض الحروف كالفاء والواو ورب، وبل، ومن. جميل الانتقال بالإشارة قول لبيد

تِلكَ اِبنَةُ السَعدِيّ تَشتكي ** لِتخونَ عَهدي والمخانَةُ ذامُ

أو الإشارة والاستفهام معا كقوله:

أفتَلكَ أم وَحشِيّةُ مسبوعَةُ ** خَذَلت وَهاديةُ الصِوارِ قوِامُها

([1]) النقد ألأدبي الحديث، ص٢١٤

قد يتخذ الجاهليون الانتقال المفاجئ بالقطع وذلك بأن يقول (د ع ذ ١) وغيرهما مما ذكر سابقاً ذلك مثل قول الأعشي:

فـدَعها وَسَـلِّ الهَمّ عَنكَ بِجَسرةٍ ** تَزَيّدُ في فَضلِ الزَمامِ وتَعتَلي[١]

الانتقال من الغزل إلي غيره – أي التخلص – ليس الغزل منفك الصلة بما بعده في نفس الشاعر، وإن بدأ كذلك في الظاهر، لأن الشاعر كما قلت أما محب، ،إما متصنع للحب، ومتصنع للحب يحاكي المحب في فن القول، والعلاقة بين الغزل وما بعده علاقة نفسية، لأنهما معا من صور الحياة البدوية التي يحياها الشاعر من الغزل إلي وصف الناقة مركب الشاعر إلي حبيته النازحة ومركبته في التسلي عن حبه فهي وثيقة الصلة بالحب.

وهذا التعدد في موضوعات القصيدة كان من وحي الصحراء، لأن الشاعر إذا يمر علي ربع المحبوبة بعد رحيلها ليتملي بالنظر إليها يتذكر ما تقتضي من ايام أنسه ويتذكر ما كان بينه وبين محبوبته من وصل وهجر، فبكي ما فيه الجميل، وقد يشتكي من معه من الرفاق، فإذا ما شفي بكاءه وتعبيره عن نفسه بعض ما يجد أنصرف إلي راحلته، أي ناقته فتحدث عن مشاق الرحلة، ووصف بعض مناظر الصحراء، وتحدث عن ناقته وأبدع في وصفها ، ولقد يستطرد إلي تصوير ما يشبه به المدح أو الفر أو الحماسة أو غيرها إذن فقد كانت هذه الموضوعات مترابطة في نفس الشاعر وسهل عليه التعبير عنها، مثلا حقه أنه لم يكن في أكثر الأحيان يعد شعره مكتوباً، وإنما كان يعده في نفسه تارة، ويرتجله تارة.

فإذا كانت القصيدة العربية قد جرت علي تعدد الموضوعات في الغالب الأعم فإن هذه الموضوعات المتعددة تلتقي عند نقطة واحدة، وهي أنها مشغلة الشاعر وأنها وحي البيئة التي يعيش فيها، إن بدت في القصيدة مناح متفرقة في القول وقد أخذ النقاد علي الشعراء الجاهليين أنهم ينتقلون من الغزل إلي غيره أن يربطوا بين

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجراجاني، ص٤٨ تحقيق محمد أبو الفضل، علي محمد البجاوي، ط٣، دار إحياء الكتب العربية.

الغرضين، ويتسللوا إلي الغزل إلي ما بعده في مهارة وحبك، آثروا أن يتطرق الشاعر من الغزل إلي غيره في لطف وحيلة، كما يفعل بعض الشعراء.

لكن الانتقال المفاجئ دليل علي أن الشاعر لم يستوح عقله ومنطقه وتفكيره، وإنما استوحي عاطفته وقلبه وشعوره، ولو أنه استوحي عقله ما عجز عن براعة الانتقال التي بدع فيها بعض الشعراء، الشاعر صادق في تعبيره، عن شعوره لأن المرأة تشغله، والناقة تشغله ولأن الفخر والمدح والهجاء يشغله أيضا، فهو يتابع هذه الأغراض في قوله كما تتابع في شعوره ولذا لم يحاول أن يعقد صلة مصطنعة في انتقاله من غرض إلي غرض وليس أدل علي أن هذا التحايل والتطلف في النقلة من الغزل إلي المدح مثلها عمل عقلي لا فن من البارعين فيه هم الذين تفلسفوا في شعرهم.

كانت طريقة الشعراء أن ينتقلوا من الغزل إلي غيره بقولهم (د ع ذا) كما ذكرنا سابقاً وبعضهم ينتقل مباشرة[١]

لقد يعرض الشاعر قوله وفيه ما يصح أن يسمي ربطا ولكنه غير مقصود، لأنه خواطر تتشاق ومعان تتداعي، ذلك كقصيدة أمرئ القيس ووقف فيها علي الربع ووصفهن وصور حزنه لما ارتحلت وهذه كلها مرتبطة في نفسه، ثم شرع يصف ناقته وأوصل وصفها لكن الناقة مرتبطة بوقفته علي ربع الحبيبة وبرحلته والألم لفراقها وهي وسيلة إلي الرحلة التي أمل أن تسليه ولقد يحدث الربط الوثيق والانتقال المتسلسل، ولكنه مصادفة تعمل فيه وخير ما يمثله[٢].

نعود إلي القول : إن المحافظة علي طبيعة المدخل إلي القصيدة الطويلة، في الوقوف علي الأطلال، ثم في الانتقال الطبيعي إلي تذكر الحب والحبيبة، والتغزل بها وأوصفها إنما هو المدخل الذي يؤكده ذاتية الشاعر أولا وهو أمر طبيعي ينسجم مع حركة الخلق الفني إذ تبدأ من الداخل من الوجدان إلي الخارج إلي العالم

([١]) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٢٥٦

([٢]) الغزل في الشعر الجاهلي، ص ٢٩٨-٢٩٩

أما أن يستنفذ الشاعر إلي أرض الحبيبة والتغزل بجمالها والشكوى من بعادها حتي ينطلق في رحلته علي ناقته، وقد خلف وراءه الأطلال والأشواق فيتخلص إلي وصف ناقته[١].

وهذا قد يأخذ الناقد علي الشاعر القديم، هذا الانتقال من وصف الحبيبة إلي وصف الناقة ولكن تسلسل الحركة يبدو منطقياً بالنسبة للشاعر الذي ابتداء بالوقوف علي الأطلال ثم تحول إلي متابعة ارتحاله علي ناقته فوصفها ثم الأغراض الأخرى[٢].

---

(١) الغزل في الشعر الجاهلي، ص٢٩٨-٢٩٩

(٢) موسوعة الشعر العربي، ص٤٤

الفصل الثالث
الوصف

وفيه ثلاث مباحث :

المبحث ألأول : الوصف في الجاهلية
المبحث الثاني : وصف الناقة
المبحث الثالث : وصف الفرس

المبحث الأول

الوصف في الجاهلية

الوصف في معناه اللغوي:

هو التحلية والتجميل، يقال: وصف الشيء له وعليه وصفا وصفة حلاه وجمله، وللصديق أوصاف حسنة وصفات جميلة، تواصفوا الكرم إذا وصف بعضهم بعضا به، وقد أتصف جاره بالخلق الحميد إذا صار منعوتا متوصفا بين القوم به(١).

ومعناه عند الأدباء هو تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم، وتلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال، وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلا يصل بك إلي الأعماق، إلي غير هاتيك العناصر التي قد يحتاج وصفها إلي ذوق فني وتتطلب الإحاطة بنواحيها، والسمو إلي آفاقها وجداناً شاعراً وإحساساً مرهفاً، وذوقاً سليماً ككل ما يملك علي الإنسان المرهف الحس إحساسه، يثير فيه شعوره ووجدانه(٢)

الوصف من الفعل الثلاثي وصف يصف الشيء بمعني نعته بما فيه.

اصطلاحا: هو تصوير الأشياء وإبرازها في شكل فني جذاب(٣)

الوصف معناه أيضا: الكشف والإظهار، أبلغه ما قلب السمع بصرا والشعر إلا قله راجع إليه فهو باب في عمومه واسع النطاق(٤).

يقول ابن رشيق، " الشعر إلا أقله راجع إلي باب الوصف، ولا سبيل إلي حصره واستقصائه وهو مناسب للتشبيه، مستحل عليه، وليس به لأنه كثير ما يأتي في أضعافه(٥)

أحس الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع كما قال النابغة الجعدي يصف ذئبا افترس جوذرا:

فبـــاتَ يذُكّيــــهِ بِغَيـــرِ حديَـــدةٍ ** أخو قَنَصٍ يُمسي ويُصبحُ مفـُطِرا

---

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة وصف، فصل الواو ٣٥٦/٩، دار صدر بيروت

(٢) الوصف في الشعر العربي، الوصف في الشعر الجاهلي، عبد العظيم علي قناوي، الطبعة الأولي ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م، ٤٢/١

(٣) المفيد الغالي، ص ٥٦، المرجع السابق

(٤) تاريخ ألأدب العربي، الشعر الجاهلي، ج١، ص١٢٥

(٥) العمدةن، ج٢، ص٢٩٤

إذا مـــا رأي مِنــــهُ كُراعـــا تَحَرَكـــت ** أصـــابَ مَكـــانَ القلَــبِ مِنــهُ فَفَرفَــرا

فأنت تري كيف قام هذا الوصف بنفسه، ومثل الموصوف في قلب سامعه(1).

قال قدامة لوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع علي الأشياء المركبة من ضروب المعاني

كان أحسنهم وصفا من أتي في شعره بأكثر المعاني التي الموصف بها مركب فيها، وأولاها به حي يحكيه بشعره ويمثله للحسن بنعته(2)

قال بعض المتأخرين أبلغ الوصف ما قلب السمع بصرا وأصل الوصف الكشف والإظهار، يقال قد وصف الثوب الجسم، إذا لم عليه ولم يستره.

إلا أن من الشعراء البلغاء من إذا وصف شيئا بالغ في وصفه، وطلب الغاية القصوى التي يعدمها الشيء إن مدحا فمدحا وإن ذما فذما.

الناس يتفاضلون في الأوصاف، كما يتفاضلون في سائر الأصناف، فمنهم من يجيد الأوصاف كلها إن غلبت عليه الإجادة في بعضها كامرئ القيس قديما(3)

الوصف من الفنون البارزة التي بدع فيها الشعراء الجاهليون، فقد نظروا في الطبيعة الصحراوية ودققوا النظر، فوصفوا كل ما وقعت عليه أعينهم وصفوا الطبيعة ممثلة في حيوانها ورياضها ونباتها وديارها وأطلالها، وتأملوا في أمطارها وسحبها وبرقها ونورها وظلامها قد سموا من ذلك لوحات ناطقة بالفن الأصيل، وقد أعتنوا بكل صغيرة وكبيرة من مشاهد الصحراء ومنظر الحاضرة ومجالسها وأزيائها، ولم يتركوا شيئا من ذلك إلا سجلوه في شعرهم(4).

الوصف باب واسع في الشعر الجاهلي سعة مناظر الحياة ومشاهد الوجود نفسها ولقد صور الشاعر الجاهلي بيئته وحياته وألوان معيشته في شعره تصويرا رائعا بديعا، مما لا يمكن احصاؤه وتعدد القول فيه فقد وصف الجبال والرمال والوديان والسيول والبروق والرياح واختلافها كما وصف الإبل والغنم والخيل وما في بلاده من

---

(1) المصدر السابق، ج٢، ص٢٩٤

(2) قدامة بن جعفر، نقد الشعر تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي بيروت لبنان، ص١٣٠

(3) العمدة، ج٢، ص٢٩

(4) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه،ص٣٦٥

حيوان ونبات وجماد ووصف مواضع لهوه وكره، ووصف معارك الحرب والأسلحة التي يستعملها فيها، ووصف كل ما يتصل به أو بيئته. [١]

يمتاز الشاعر بأن إحساسه بالأشياء أحق واستيعابه لها أو في، قدرته علي نقل إحساسه وتصوير محسانه لا تدانيها قدره غير ذوي المواهب، فإذا عبر عن منظر رآه أو معنى أحسه جاء تعبيره صادقا جميلا حتى جمع إلي رهافة الحس التمكن من التعبير، وحسن التعبير، في اللغة وربما رسم من الصور ما يقف أمامه أبدع المصورين دهشا مبهوتاً[٢]

ولقد وصف الشعراء في باب الوصف وأكثروا منه فوصفوا ديارهم ومواردهم، وكانت المرأة نفس مظاهر الجمال عندهم فهاموا بها ووصفوا محاسنها وتقدموا بذكرها في مفاتح الكلام حتى عند الرثاء والفخر، وتحدثوا إليها بما يجيش في صدروهم وشبهوها بالظبية المهانة والماء والشمس والنار وما كان الوصف يزيد في بيانهم علي انتزاع الحقائق من معادنها محلاة بألوانها الطبيعية فيما كانوا يستخرجونه من بيئة البادية ومظاهر هذه الحياة العربية من حرب وسلم وظعن وإقامة[٣].

يحتاج الوصف إلي شدة ملاحظة ودقة انتباه وقوة بصر، وهي الأمور التي توفرت للعربي الأول فساعدته علي أن ينقل إلينا بشدة صور الأشياء كاملة ونعوتها صحيحة، وأوصافها واضحة ولم يقع بصره علي حيوان ولا شجر ولا صحراء مترامية، ولا وحش فاراً، أو حيواناً أليفا ولا طير شارداً، ولا ليلا مظلما، أو نهارا مشمساً من غير أن يأخذ ذلك كله في ذهنه الواعي، وإحساسه المدرك، وخياله المحلق ووجدانه المنفصل وتفكيره السليم وما كان الوصف يزيد من الحقيقة المجردة، و الواقع الملموس[٤]

الوصف في حقيقة الأمر – هو عمود الشعر وعماده، بل إن كل أغراض الشعر وصف، في المدح وحسن نيل الرجل وفضله، والنسيب وصف النساء والحنين إليهن والشوق إلي لقاءهن، والرثاء هو وصف محاسن الميت، تصوير آثاره، والهجاء

---

(١) الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ص٢٤٤

(٢) التاريخ ألأدبي بالعصرين الجاهلي والإسلامي ، ص١٧-١٨

(٣) الأدب العربي تاريخه في العصر الجاهلي، ص١٠٣

(٤) بحوث في الأدب الجاهلي، ص٦٣-٦٤

وصف سوءات المهجو، وتصوير نقائضه ومعايبه، وهكذا يستطيع أن تدخل جميع فنون الشعر تحت الوصف، فهو علي هذا الوضع كالدوحة الملتفة، الأغصان، الفارعة ألأفنان، المترامية الظلال[1]

الوصف هو إبراز الأشياء، بشكل فني، وهو وإن شاع في الجاهلية لم يؤلف باب مستقلا[2] كما أنه لم يؤلف غرضا مستقلا بذاته بل هو مشترك بين سائر الأغراض علي نحو ما رأينا في الغزل مثلا ولعل ابن رشيق لم يخطي عند ما عدد كل أنواع الشعر منها، لأن لا أدب بدون وصف، وقلما يأتي الوصف مجرداً خالصاً لنفسه من أجل الوصف فقط[3]

والوصف من أهم الأغراض التي عالجتها المعلقات، ولم تخل معلقة منها، بل أن المعلقة الواحدة تتمثل علي كثير من الأوصاف لموضوعات متعددة مما وقع تحت حس الشعراء من مشاهد الطبيعة وصور الحياة المختلفة، فقد وصفوا أرضهم وما فيها من الزرع والنبات والمياه، وما علي ظهرها من الوهاد، الهضاب والجبال، وما يدب عليها من صنوف الحيوان، كما وصفوا السماء وما يزينها من نجوم وكواكب، وما يحجبها من سحب وما يسقط منها من غيث، وما يلمع فيها من برق، كما وصفوا الليل والنهار ووصفوا أنفسهم في تعرف أحوالها، وفي رضاها وسخطها[4]

والوصف من الموضوعات المهمة في الشعر وفي العادة يذكرون الوصف بعد غزلهم وتشبيههم إبلهم، ويأخذون في وصفها وصفا مسهبا علي نحو ما هو معروف عند طرفة[5]

وقد شمل الوصف وصف الأطلال المهجورة ووصف ارتحال الظعائن ووصف المرأة المحبوبة، إن وصف المرأة علي ما فيه من دقة وإغراق في ذكر أوصافها، يظل أبعد من مرارة وصف الأطلال، وأقرب إلي الوصف الفني الخالص الذي لا حياة فيه ولا طعم ولقد أشرنا مرارا فيما مضي إلي أن الشعر الجاهلي وصف

---

(1) الوصف في الشعر العربي، الوصف في الشعر الجاهلي، ص٤٢-٤٣

(2) الجاهلية في الأدب وفن وتاريخ، ص٧٦

(3) المفيد في الغالي في الأدب الجاهلي، ص٥٦

(4) معلقات العرب، ص٣٠٥

(5) تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، شوقي صيف، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، ص٤-٥

طبيعة الجزيرة العربية بكل ما فيها من نبات وحيوان ولعل أكثر الحيوانات الموصوفة في الشعر الجاهلي وصف طبيعة الجزيرة العربية بكل ما فيها من نبات وحيوان ولعل أكثر الحيوانات الموصوفة في الشعر الجاهلي هي الناقة والخيل[١].

كان موقف الإنسان من الحيوان من أقدم العصور غريباً، فهو يستأنسه مرة، يفتك به للتغزل مرة أخرى ويستعمله وسيلة لنقله تارة ويقدس بعضه أخرى، وكانت آثار تلك الغرابة تلوح جلية في آدابه وحكاياته وأساطيره[٢]

تاريخ البشرية لا يخلو من النفوس الكريمة، التي عاشت متعلقة بالحيوان أشد التعلق، آداب الأمم نظما ونثرا حافلة بصور الحيوانات التي أعانت الإنسان علي تذليل كثير مصاعب الحياة ومنعته القدرة الفائقة علي وصفها بالأوصاف التي خلدتها في آثار بقاياه[٣]

والعرب كغيرهم من الأقوام الذين تعلقوا بحب هذه الحيوانات فقربوها وعززوها، ومنحوها رعايتهم، ولم تكن ظروفهم قادرة علي أن يعيشوا بمعزل عنها، مندرة النبات، كانت الدافع الحقيقي الذي دفع القبائل إلي عدم الاعتماد في حياتهم علي ما تنتجه الأرض فقط، ودفعها إلي الاستقلال لكافة الموارد عن آية طريقة كانت فاضطروا إلي أن يجعلوا الحيوان عماد حياتهم متنقلين وراء ماشيتهم من مرعي، ويقيمون أودها ويحفظون حياتها، ويقون بها أنفسهم من هلاك محقق[٤]

وكان للحيوان أكبر الأثر في حياتهم وهو قرب إلي نفوسهم وعواطفهم، ولذلك فقد أعتنوا به عناية خاصة، وضعوا جسمه وقوته وصفاته وعاداته وحركته وطباعة، حتى عرف بعض الشعراء بالإجادة في وصف حيوان واحد، كطرفه بن العبد، وأوس بن حجر، وفي وصف الخليل، امرؤ القيس والنابغة، الجعدي، وفي وصف الحمير الوحشية والشماخ وفي وصف القسي، أما الأعشي فقد بدع في وصف الخمر ومجالسها[٥]

---

(١) المفيد الغالي في ألأدب الجاهلي، ص٦٤

(٢) وصف الطبيعة في الشعر ألأموي، إسماعيل أحمد شحادة العالم مؤسسة الرسالة، دار عمار ، ض١١١

(٣) وصف الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص٩٩

(٤) الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص٩٩ نوري حموي القيس، ط٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م

(٥) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٣٦٥، د. يحي الحيدري مؤسسة الديالة، ط٤، بيروت/، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

تحدث الشعراء عن الحيوان كثيراً، وعنوا به عناية كاملة، ووصف حركاته ومثلوا هيئاته، أشاروا إلي عاداته إشارات كثيرة تظهر في أحاديثهم وقصائدهم، فتكلموا عن الناقة والفرس فوصفوا أشكالها وأعضاءها وطبائعها ورسموا لنا من خلال أحاديثهم سلوكا وعاداتها وهي تقطع المفاوز وتخترق الصحارى[١]

عاش العرب في جزيرة واسعة تختلف عليها الرمال والأنواء والرياح، وتشتد عليها الطبيعة، وتقسو، فكان ينتقل في سبيل العيش، ويضرب في ألأرض وراء اللقمة، فيختار مسافات كبيرة يخترق صحارى شاسعة كأنه في ركب الحياة علي سفينة متفاوتة مقلوبة تهبط، فيلقي مصاعبها ومتاعبها إلي أن يرسو فيه القدر عن مرفأ أمين يحيط فيه رحاله ويلجأ إليه حينا من الزمن.

وكان سبيله إلي هذا التنقل حيوان يقتسم معه هذا العيش الشديد يقطع عليه المسافة، فيرافقه ويعايشه ويقضي معه أكثر حياته فيالفه ويحبه ويري فيه أعظم صديق وأنبل رفيق، يتحمل التعب والعناء والسير والسرى، لذلك أحب العرب الحيوان ورأي فيه نجدة وملاذا، فهو منبع ثروته ومحل إكباره، يذكره كما يذكر الغزليون المرأة[٢]، علي أن وصف الشعراء لبعض هذه الحيوانات لم يكن مجرد أوصاف عبارة لأعضائها، وإنما كان يشوب ذلك حس وعاطفة يضيفان علي الوصف طابع الجمال والدقة، وكانت عاطفتهم عاطفة إنسانية سامية لأنها عاطفة مساواة في الحب والحنان والمشاعر، فإذا أراد الشاعر أن يتحدث عن رأحلته شبهما بحمار وحشي يسوق أتنه، فالراحلة لم تعد مجرد حيوان، وإنما أصبحت بصفة من نفوس الشعراء وأن أوصافهم لها وحركتهم معها تحملنا علي الاعتقاد بمشاركتها لهم في هذه الأوصاف فهي تشعر بالخوف كما يشعر وتحس بالعطش كما يحس وتفلت من سهام الصائد كما يلفت من سهام أعدائه وخصومه وتعجب بالنصر كما يعجب وتحن إلي صغارها كما يحن إلي أطفاله، يأبي الضيم ولا تقيم في مكان إذا لم ترضى الإقامة فيه كما يأبي الإقامة في مكان يسأم فيه الضيم.

---

(١) وصف الطبيعة في الشعر الأموي، ص٢٩٣

(٢) الوصف يشترك في وضع هذه المجموعة لجنة من أدباء الأقطار العربية تصدرها دار المعارف، ص٩-١٠

وكان يداخل الشاعر وهو يرسم هذه الصورة كثير من العواطف والمشاعر والأحاسيس وكان الشعراء يكلفون علي تصوير هذه المشاهد فيرسمون وقائعها وهم يحسون إحساسا عجيبا ويشعرون شعور عميقا بالرغبة في تصويرها وإثبات خصائصها[1].

فقد عني الأدب الجاهلي بوصف الناقة والخيل عناية كبيرة، إننا نستطيع أن نقول أنه ليس من آداب العالم أدب وصف هذين الحيوانين وأهتم بدقائقها وخصائصها وعني بحركاتها ووصف أعضائها.

الأدب الجاهلي زاخر بوصف الحيوان علي اختلاف أصنافه وألوانه للقصائد العربية المخصصة بالحيوان تعد من أجمل الشعر وأظهره جده وطرافة وحياة[2] وطبيعي أن تكون العناية منبعثة من منافع هذه الحيوانات للعربي في صحرائه فهو يعد للحرب والغزو والصيد ويستعين ببعضها لتفريج همه، وتخفيف أحزانه، ويستخدم البعض الآخر في التنقل والترحال وكانت الناقة والفرس أولي تلك الحيوانات اهتماما لأنها أوثق بحياته وأشدها صلة بمستقبله[3] وسوف نتناول وصف الناقة والفرس في المباحث القادمة إن شاء الله.

---

(1) وصف الطبيعة في الشعر الأموي، ص٢٩٤

(2) الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص٩٩-١٠٠ ، نوري حموي القيسي ، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

(3) المرجع السابق، ص١٠٠

المبحث الثاني

وصف الناقة

الناقة هي الأم الرءوم للبدوي، ومواكبة آماله الضخام في مناحي الجزيرة[١] الناقة هي أبرز الحيوانات التي عني بها الشاعر الجاهلي فهي مصدر الخير والرزق، تقطع الفيافي وتجتاب الفلوات دون كلل أو ملل[٢].

أحب الجاهلي الناقة لأنها تغذية بلبنها، وتكسوه من دبرها، وتطعمه من لحمها فهي عنده غذاء وكساء، وهي حياته في هذه الصحراء[٣] فالناقة صديقة البدوي التي لاتفارقه ليطعم من لحمها ويشرب من لبنها ويرحل عليها، ويتخذ من شعرها ووبرها خيمته وهي عنده هبة الله الكبرى، قال تعالي{وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞لَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }.

الناقة هي مركب العربي إلي البقاع النائية، والمعبر الذي لا معبر غيره في قطع الفيافي والبيدراء الناقة هي صديقة العربي الطيعة في الحل والترحال، صبور علي الجدب والجفاف، يطلقها في البادية فتكفي بما تجده من عشب، ويندر الماء فتصبر علي حر الظماء أياما فلا غرابة في إن كانت موضوعا من موضوعات الشعر أكثر فيه الشعراء، وتنافسوا وأجادوا) [٤]

اهتم الشعراء الجاهليون بوصف الإبل، واستأثر بحبهم لأنها الحيوان مناسب للحياة في الصحراء، لتحملها وعورتها ومقاومتها ظروفها، ومن هناك كثر تردد ذكرها في الشعر حتى لا تكاد تخلو قصيدة من ذلك، ولم يمن حديثهم عنها مثقلا أو حملا، وإن طالت الأبيات وكثرت الأوصاف وتعدد التشبيهات والصور، فهي من وسائل النقل التي تتحمل ما يفرضه السفر عليها من الجهد والمشقة لتبلغ بهم أماكن لم يكونوا بالغيها إلا بشق الأنفس وأداة للتسلية التي يفرجون فيها عن أحزانهم[٥].

---

(١) الأصول الفنية للشعر الجاهلي، ص٢٧٢

(٢) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٣٦٦ . يحي الحبوري ، مؤسسة الرسالة، ط٤ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، بيروت – لبنان

(٣) الوصف في الشعر الجاهلي، ص١٠، مطبعة البابي الحلبي وأولاد، ط١، ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م، عبد العظيم قناوي

(٤) أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، ص٧٩، مكتبة النهضة، مطبعة الرسالة.

(٥) الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص١٠١

فالأبل تصر آذانها إذا حدا في أثرها الحادي وتزداد نشاطا وتزيد في مشيتها[١] فكانوا بها يسلون همهم، فتذهب عمن نفوسهم بوادر الألم، والضيق وبسرعتها ومشيتها تثار نوازعها لوصفها، وهي جسر يتنقلون بواسطته في حديث ومشيتها تثار نوازعهم لوصفها، وهي جسر يتنلقون بواسطته في حديث النسيب الحزين الذي يشتد فيه الألم، حتى يؤثر في النفس فيكاد يبلغ اليأس والجوع، وبما يقطع الصحراء المخيفة، فيذكر الظباء، وهي مع كل ذلك لا تمل ولا تشكو ولا تضجر تحملهم إلي ممدوحيهم وتنقلهم إلي ديار أحبتهم فلا عجب إذا أسمى العربي الإبل المال أو النعم، ولا عجب أن تشغل الناقة المكان الأكبر عند شعراء الجاهلية فهي قرى ضيافتهم تستأثر بعناية العربي، وتستحوذ علي جزء كبير في شعرهم[٢] أطال الجاهليون الوصف وعنوا بوصف الناقة وهي خيار مالهم يدفعوا منها المهر والديات[٣] وقد وقف الشعراء يتأملون فيها، فوصفوا جسمها الضخم القوي، بالبناء والقصر، قصر الهاجري، والقلعة الضخمة، والصحراء الصلبة، ودققوا في أعضائها فلم يغادروا عرق ولا عصب، ونظروا في أحوالها وسرعتها ونشاطها وعواطفها وحنينها فصوروا إحساسها ومشاعرها وأحوالها بعاطفة إنسانية ومشاركة وجدانية لما يعاني منه هذا الحيوان[٤] يصف الشعراء الناقة بعد بكاء الديار والغزل أو التوجع من الدهر، ولم يكن التحول إلي الناقة سهلا ولا هيناً، ولكن الشعراء توسلوا إليه بالحزن والحب والفرار من الديار المهجورة واللحاق بالأحباب الراحلين، والضيق بالدهر والرغبة في رؤية الممدوح[٥] يحدثنا النويهي عن صورة شائعة من صور التخلص إلي الناقة، فيقول يشتد بالشاعر حزنه وآلمه علي فراق أحبته فلا يري منحاة منها إلا أن يعلو ظهر ناقته فيسرع عليها، أما اللحاق بتلك القبيلة المهاجرة، أو الفرار من تلك الديار المهجورة التي هيجت عليه الذكرى الأليمة، وعلي كل الزعيمين يتيح له هذا

---

(١) الحيوان ، ص٤-١٩٣

(٢) الشعر السابق، ص١٠١-١٠٢

(٣) التاريخ ألأدبي للعصرين الجاهلي والإسلامي، ص٨٤. علي محمد حسن العماري مطبعة دار الجهاد، ١٣٨٢-١٩٦٢م

(٤) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٣٦٦

(٥) الرحلة في القصيدة الجاهلية، ص٥٢-٥٣

التخلص إن يتنقل إلي ناقته في التخلص إلي ممدوحه الذي يريد مدحه أو أعدائه الذين يريد أن يهجوهم[١].

قارئ الشعر الجاهلي يعرف صدق ما قاله النويهي فتنت الناقة الشاعر الجاهلي فتنة، وقف يتأملها ويردد بصره فيها وما أكثر ما أقترب منها يحدق فيها ويغلو ويسرف في التحديد ثم يصفها عضوا عضوا يصف هيئتها وطباعها وما بداخل صدرها من أحاسيس ومشاعر يتحدث عن علاقتها به وموقفه أطراف الليل وآناء النهار كأنما هو يتغزل بها وقد نجح الفن الجاهلي أقام معرضا ضخما للناقة وحرص فيه علي رسمها بعناية كبيرة تصورها في أوضاع متباينة شديدة التباين، وفي حالات متشابهة شديدة التشابه، ووفر لها في كل صورة حظا واسعا من الفن[٢] إن إعجاب العرب بالإبل و تركيبها، كان يشكل عاملا نفسياً من عوامل الإعجاب بهذا المخلوق، فحاول أن يصور وقائعها وهيئتها وأعضائها، لأن يري فيها نواحي الجمال وعبقرية الكون التي يحيط بها وصف و لا عد، في القرآن الكريم دلالات علي ذلك ففيها الدفْ بما يعلمون من لباس، وما يأكلون من لحوم ، وفيها زينة بيوتهم، لأن الرعيان إذا روحوها بالعيش وسرحوها بالغداة زينت بأريحتها وتسريحها وتجاوب الرفاء فأنس أهلها وفرحت أربابها وأحلتهم في عيون الناظرين إليها وأكسبتهم الجاه عند الناس، وكأنه خلقت للنهوض بالأثقال، وسخرت منقادة لكل من اقتادها ولا تمانع صغيراً ولا تقاوى ضعيفا، تري كل شيء نابت في البراري والمفاوز فجاء ذكرها علي السماء والجبال والأرض فكانت مساوية لها في القدرة مجانسة لأشكالها في العظمة. قد حملهم هذا الاهتمام والإعجاب علي أكرم فحول الإبل والاحتفاظ بأنسبها فكان[٣] أكرم فحلا للعرب يسمي عصفورا وتسمي أولاده عصافير النعمان[٤]. وكان عصفور وزاعر وشاعر وذو الكباين من فحوة الإبل المعروفة[٥]. علي أن الشعراء الجاهليون لم يقفوا منها موقفا واحداً في وصفهم لها، وهذا إذا أوقفنا عند ظاهر جسمها

---

(١) الشعر الجاهلي منهج في دراسة وتقويميه محمد النويهي

(٢) المرجع السابق، ص١٢

(٣) الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص١٠٤

(٤)الحيوان ج٥، ص٢٣٣، الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب الكناني)

(٥)المرجع السابق، ص١٠٥

وأعضائها لم تتجاوز إلي قدرتها وسرعة سيرها وطاعتها ولين انقيادها، فالشاعر شبه كل عضوا من أعضائها بشيء وقع علي حسه كالنسر ومشيد القصور والقسي والقنطرة والقرطاس الشامي والجلد المدبوغ وهذه كلها في متناول خياله أو في ملك نظره يمد يديه إليها حيث يريد وقد يبسطها بسطا ماديا حسيا فيصور أجزائها شبيهة بهذه الأشياء[١].

فقد وصف الشعراء الناقة وصفا مسهباً، المفضليات والأصمعيات تذخر بأحاديثهم عنها ومقدار ما كانوا يرون فيها من جمال وكانوا يشبهونها بالقصور ويشبهون قوائمها بالأعمدة وقد يشبهونها بالسفن والقناطر ويشبهون قوامها بجذوع الطلع ويديها بالصخر الغليظ أو بيدي السباع وصوتها بصوت القصب وخفافها بالمطارق وقد يشبهونها بكثير من الحيوان مثل الظليم والثور وحمار الوحش وحينئذ يستطردون إلي وصف هذه الحيوانات ما يكون من عراك بينها وبين كلاب الصيد[٢].

يقول الجاحظ: " ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مرثية أو موعظة أو أن تكون الكلاب هي التي تقتل بقر الوحش، وإذا كان الشعر مديحاً، وقال كأن ناقتي بقرة من صفتها كذا، أن تكون الكلاب هي المقتولة، ليس علي أن ذلك حكاية عن قضية بعينها ولكن الثيران ربما رجحت الكلاب وربما قتلتها، أما في أكثر من ذلك فإنها تكون هي المصابة والكلاب هي السالمة والظافرة وصاحبها الغانم"[٣]

أوصاف الناقة لدى الشعراء تكاد تكون متشابهة، فهي قوية متينة صلبة قبل السفر، وهي نحيلة مهزولة بعد أن قطعت الفيافي وجابت الفلوات وحر الهواجر وقر الشتاء يعتنون بوصف شكلها ولونها وصفاتها، يشبهونها بالبقرة الوحشية والثور والحمار والأتان كما يشبهونها بالبناء الشامخ والسيف والدلو والسحابة، وفي كل تشبيه من هذه التشبيهات يصورون حالا من أحوالها وصفة من صفاتها، كأنهم اتخذ ذكر الناقة وسيلة لوصف الحيوانات الأخرى وذكر قصصها عن طريق تشبيه الناقة أو الثور ثم يذهب ويسرد قصة ذلك الحيوان وما كان من أمره مع الصياد وكلابه

---

(١) الوصف ، ص١٢

(٢) تاريخ ألأدب العربي، العصر الجاهلي، ص٢١٤-٢١٥

(٣) الحيوان، ج٢، ص٢٠

حتى إذا أنهي تلك القصة عاد إلي ناقته[١] كذلك يقول لبيد في وصف راحلته، بل أنه ليبعد ذلك ويفصل تفصيلا يخرج التشبيه مخرج القصة الحقة، فلبيد يفصل في وصف حال حمار الوحش تفصيلا يطلعك علي نوع ما يجري بعقليته من انفعالا الغيرة والحرص علي أتناه وما لا يقاربه فيه إلا الإنسان[٢].

نجد بعض الشعراء وصفوا الناقة وصفا مباشرا ولكنهم لم يطيلوا في وصفها آثروا أن يتحدثوا عن صفاتها وأحوالها النفسية عن طريق تشبيها بالحيوانات الأخرى ، فأظهروا عواطفها من الحزن والحب والكره والجرأة والشدة والاحتمال في قصص الحيوان كالبقرة المفجوعة بولدها الذي تحبه والتمسوا قوتها ونشاطها وسرعة حركتها في حمار الوحش وأتانه وفي الثور، ولكل قصة طريقة فيها حيوية ونشاط وقوة. [٣]

الشاعر لا يكتفي بشدة احتمالها لأنها لا تظهر كمالها فيسير إلي وصف سرعتها التي يستعرض بها الصورة ألأولي فيذكر أنها تسابق الريح أو تتخطي النعامة التي يطاردها الظليم، وقد تداول الشعراء مميزات أخرى في طباعها منها الوقار والصبر أما شكلها فقد قارنوا بينها وبين الجمل، مستدلين بذلك علي الشدة والصلابة[٤]، والشاعر إذا ذكر نوعا من هذه النياق فإنه عليه أن يلتزم باختيار الأوصاف الملائمة لذلك النوع من جهة، والمنسجمة مع الوضع النفسي للشاعر والهدف الذي يتوجه إليه في ارتحاله من جهة أخرى[٥]

وأكثر الأوصاف التي دارت علي ألسن الشعراء كانت عبارات " مقذوفة" " عذافرة" و " الوجناء" و " وعرمس" و " غلباء" و " عجنس" و " علنده" و " مذكره" والزيافة الجماليه وشدنيه " وعرندسة" " وعنتريس" ولا بد للشعراء من أن يوصفوا إلي رواحلهم هذه الأوصاف وينعتوها بهذه النعوت لتتمكن من مقاومة ظروف الحياة القاسية تقدر علي أداء ما كان يطلب منها أن تؤديه في هذه المفاوز الرهيبة[٦]

---

(١) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٣٦٦

(٢) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، نجيب محمد البهيتي ١٣٨١/١٩٦١/ ص٩٦

(٣) الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، ص٢٦٨

(٤) فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ايليل الحادي، ص٣٦، الطبعة ألأولي ١٩٩٠ منشورات دار الشرق الجديد.

(٥) موسوعة الشعر العربي، ص٤٥

(٦) الطبيعة في الشعر الجاهلي/ ص١٠٥-١٠٦

وقد شغل وصف الناقة جزءا ظاهرا من معلقة طرفة وذلك في قوله:

وَإنّــي لأمضُــي الهَـمّ عنـدَ احتضــارِهِ ** بِعَوجــاءَ مِرقــالٍ تَــروحُ وَتغتَــدي
أمُـــونٍ كَـــألواحِ الأرانِ نَصَـــاتُهَا ** عَلـــي لاحِـــبٍ كَأنَّـــهُ ظَهــرُ بُرجُــد
لَهـا فَخِـذانِ أُكمِـلُ الـنَحضُ فيهِمـا ** كَأنّهُمــا بابــا مُنيـــفٍ مُمَـــرّدِ
وطـــيٌّ مَحَــالٍ كـــالحَنيَّ خُلوفُـــهُ ** وَأجرنَـــهُ لُـــزّت بِـــدَايٍ مُنضّـــدِ
كَقَنطَـــرةِ الرومـــيَّ أقسَـــمَ رَبُّهـــا ** لَتُكـــتَفَنَ حَتّـــى تُشـــادَ بِقَرمَـــدِ
واتلَـــعُ نَهّـــاضُ إذا صَـــعَّدَت بـــهِ ** كَسُـــكّانِ بوصـــيَّ بِدجِلَـــةَ مُصـــعِدِ
وَجُمجُمَـــةٌ مِثـــلُ العَـــلاةِ كأنّمـــا ** وَعـي المُلتَقـي مِنهـا إلـي حَـرفِ مِبـرِدِ
وَخَـــدٌّ كَقِرطـــاسِ الشـــآمي وَمِشـــفَرُ ** كَسِـــبتِ اليَمـــاني قَـــدّهُ لَـــم يُجَـــرّدِ
وَعَينــــانِ كالمــــاوَيّتَينِ اِســــتَكَنَّتا ** بكَهفَـي حِجـاجَي صَـخرةٍ قَلـتِ مَـورِدِ

وفـي هـذا الوصـف مـن الدقـة والاستقصـاء مـا تـري لـه كثيـر مـن الأمثلـة عـن أمهر الشعراء الوصافين، فقد أتـي علـي شرح أحوال الناقـة فـي سيرها وحركاتهـا، وفصل أجزاء جسمها وشبهها بتلك التشبيهات التـي تضيف إلـي الوصف المقصود أوصافا أخرى لا تقل عنه جودة ولا استقصاء[١] فالناقة ضامرة نحيبة سريعة مرقال ذنبها ذيال كثير الدبر يشبه في ذلك جناحي نسر قديم لها فخذان مكتنزان باللحم، وفقرات متداخلة تكون مع الأضلاع قسيا متراصة وهي في صلابتها كقنطرة الرومي بناها الضاع بالأجر المتين، أنها ضخمة الرأس طويلة العنق قوية ولها خد كقرطاس الشامي ابيض لا شعر فيه، ومشفر كالجلد المدبوغ لم يميل في تغطيته، وعيناها المرآتين استكانتا في كهف جبلي[٢] ولعل أوفي نموذج لوصف الناقة هو الذي ألم به طرفة[٣]

---

(١) معلقات العرب، ص٣١٢، القصائد العشرة، ص١٠٢، ١٠٣، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١١٤ ، ١١٥، ١١٦

(٢) الوصف، ص١٢

(٣) فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ص٣٧

عنترة يستبعد الوصول إلي ديار حبيبته علي مثل الناقة التي وصفها بتلك الأوصاف.

هَـــل تُبلِغَنّـــي دارَهـــا شَـــدنِيّةٌ ** لُعِنَـت بِمَحـروم الشَـراب مُصَـرّمِ

خَطّـــارَةٌ غِـــبّ السُـــري زَيّافَـــةٌ ** تَطِـسُ الإكـامَ بِوَخـذِ خُـفٍّ ميـثَمِ[١]

فقد وصفها بأنها صابرة علي معاناة شدائد الأسفار، رافعة في سيرها ذنبها، مرحا سريعة كالظليم المشبه في سواده، بالراعي الحبشي، نشيطة لا تستقيم في عدوها مخافة خدش سنور جانبها الأيمن مترشحة عرقا أسود كالقطران وشديدة التبختر مثل فحل الإبل[٢].

وقول لبيد في معلقته في وصف قصصي مطول لناقته التي شبهها في شدة سيرها بسحابة حمراء، لا ماء فيها تدفعا ريح الجنوب، وبالأتان الحامل يسوقها فحلها الغيور عليها وببقرة وحشية ذهبت ترعي فأفترست السباع ولدها.

ووصف النابغة الذبياني ناقته وشبهها بالحمار في نشاطها المتواصل وبالثور الوحشي الفار وهؤلاء الشعراء يتشابهون في وصف نياقهم، فيرسمونها بالضخامة والقوة والسرعة سرعة الجري وشدة الطاعة ويستعملون في ذلك الصور الحسية المادية ويشبهون كل عضو بصورة عرضوها والقوها في حياتهم الاجتماعية، فهي تشاركهم الشقاء في العيش والضنك تقاسمهم الآلام والآمال فتحس برغباتهم وتطيع حاجاتهم وتسرع من غير وقوف وتسير من غير زجر وتجري من غير حداء أو عناء[٣] لذا أحبها العربي وأشتدت الألفة بينها وبينه فرفعها إلي مستواه فأتخذ منها مدينة مصاحبة كأنها إنسانة تقاسمه المشاعر وتشاطره الهموم فأضفي عليها من صفات العقلاء ووجدان الأصدقاء، فناجاها وتسمع إلي شكواها وعبر عنها، كأنه لسانها إذا نطقت، أو وجدانها إذا أفصحت[٤]

---

(١) معلقات العرب، ص٣١٣ شرح القصائد العشرة ، ص٢٨٠-٢٨١

(٢) المفيد الغالي في ألأدب الجاهلي ، ص٩٤-٩٥

(٣) الوصف ، ص١٤-١٥

(٤) الأصول الفنية للشعر الجاهلي، ص٢٧٤

وهكذا صور الشعراء نياقهم ووضعوا لها التماثيل صغيرة وكبيرة كاملة وغير كاملة ووقفوا علي مقربة منها ثم مضوا يتأملون ويحدقون النظر فيها من إمام وخلف ومن كل جانب فقد وصفوا شوقها وحنينها وشكواها ونحو ذلك من مشاعرها، ثم لم يكتنفوا بتصويرها وحدها بل انعطفوا يصفون ألأرض التي تطويها، والماء الذي تقصد آلية، والوقت الذي ترحل فيه فأقاموا لنا بذلك معرضا من الصحراء تعددت فيه اللوحات وتتباين فيه المشاهد(١).

---

(١) الرحلة في القصيدة الجاهلية، ص٩٢

المبحث الثالث

وصف الفرس

إن الصلة بين الإنسان والخيل قديمة جدا فحيث وجدت آثار أقدام الإنسان في سيره الطويل في دروب الحضارات اكتشفت إلي جانبها حوافر الخيل قديمة جداً، ومنذ أن أستطاع البشر ترويضها وإخضاعها لسيطرتهم حدث انقلاب كبير في نمط التفكير الإنساني بتغيرات أسلوب المعيشة[١]

لذا شغف العربي بخيله فوجد فيها صديقا حميما، تتجده في الشدة والرخاء، وأعزها وأحدب عليها، وباهي بها، لأنه كان يركبها للصيد وللرياضية، وفي الأسفار الدانية، فكان في طريقه إلي المعركة يركب الإبل ويقود الخيل ليريحها، فإذا قرب من عدوه نزل من الإبل وأمتطى الخيل لأنها أكثر عونا وأسرع حركة[٢].

ولهذا تركت الخيل آثار بعيدة المدى في حياة العرب الاجتماعية والفكرية، حتى وإن بعض حروبهم تنشب بسببها، وشعرهم ونثرهم كان النعوت عليها، واشتغل الملوك والرؤساء بها ولا غرو فقد أقسم القرآن الكريم بها[٣] قال تعالي في سورة النحل {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }.[٤]

لم يعني الجاهليون بحيوان عنايتهم بالخيل، فهي حبيبة إلي نفوسهم عزيزة عليهم يكرمونها ويؤثرونها بالطعام والشراب، وهي زينة الفارس يمتطيها في نزهة وصيده، وتكون حصنه عند الغارة وسلاحه في الكر ونجاته عند الفرار ولذلك يخصها بعناية فائقة، وليس أكثر من أن تفدي بالأنفس ويجاع لها العيال ولا تجاع كما يقول الشاعر:

مغداة مكرمة علينا ** يجاع لها العيال ولا تجاع

---

(١) وصف الطبيعة، ص١٣٠

(٢) أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، أحمد محمد الخوفي، ص٩٠

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة ص ١٣٠

(٤) سورة النحل ، ألآية ٨

وكانوا يقربونها عند بيوتهم ولا يرسلونها ترعي مع أنعامهم حبا في المحافظة عليها كانوا يحفظونها من البرد ويضعون لها ألأدوية والأغطية لتقيها قسوة البرد وشدة الحر يقول عنترة:

مُقَرّبـــــــةَ الشِـــــــتاءِ وَلا تَراهـــــــا ** وَراءَ الحَـــــــيَّ يَتبَعُهـــــــا المهِـــــارُ

لَهـــا بِالصَـــيفِ أصـــبرةُ وَجِـــلٌّ وَنيـــبُ مِـــن كَرائِمِهـــا غِـــزارُ [١]

يسقونها الماء الدافئ في الشتاء وكانوا يصنعون لها النعال لتحفظ حوافرها من صلابة الأرض وشدة الصخور.

أحب العرب الخيل في العصر الجاهلي لما أدته لهم من نفع كثير[٢]، لذلك كانت عنايتهم بها، واهتمامهم بتربيتها، عناية تفوق كل شيء وقد أشتهر الجاهليون بالمحافظة علي أنسابها، وعدم الخلط بين سلالاتها، فنراهم يخلدون ذكراها وصفاتها في قصائدهم ومقتطعاتهم وقد عكف فريق من العلماء، كالأصمعي وابي عبيدة وغيرهما علي تدوينها تدوينا منظم، ووصفوا في رسائلهم التي لم يصل إلينا منها إلا اليسير) [٣] وقد حافظوا علي كرمها وأصالتها ونقاء عنصرها وأهتموا بنسلها وأنسابها ونجابتها، يفخر علقمة الفحل بنسب فرسه وأصالته بقوله:

وَقَـد أقـودُ أمـامَ الحَـيّ سَـلهَبَةً ** يَهـدي بِهـا نَسـبُ فـي الحُـي مَعلـومُ

ولشدة عنايتهم بأنسابها وصفاتها فقد ألفوا في ذلك كتباً مثل أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام، لابن الكلبي، و" الخيل للأصمعي" " والخيل لابن عبيدة" وأسماء خيل العرب وفرسانها " لابن الإعرابي وغير ذلك[٤].

وكان إطلاق الأسماء علي الخيل عادة مألوفة ومعروفة ليتمكنوا من تمييزها وليعرفوا الأصيل منها من غيره، وقد ذكر ابن الكلبي طائفة من فحولها وجيادها والمفروض المنسوب منها في الجاهلية.

---

(١) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ٣٦٩

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة

(٣) الطبيعة في لشعر الجاهلي، ص١١٠

(٤) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ٣٧١

وما شهر باسم أو نسب من ذكورها وإناثها، ومما ذكره، زاد الراكب، وأعوج وسيل النعامة" والهطال" و " العراوة" ، والوجيه، لا خف الجون، " داحس والغبراء"، الورد ، جروة، الشموس[١]

وقد أختاروا لها أسماء حفظوها ونسبوها إلي فرسانها ونسبوا الفرسان إليها، ففرس عامر بن الطفيل المزنوق، وفرس والده العطيل قرزل، وفرس عنترة جروة، وفرسا قيس بن زهير العبسي" داحس والغبراء"[٢]

وحفلت قصص الفروسية العربية بذكر كثير من أسماء الخيل التي كانت تمثل الأصحاب الحقيقيين لها، والتي كانت لا تقل بطولاتها عن بطولات فرسانها فاستحقت بذلك الإعجاب، والتقدير، وقد ذكر صاحب أنساب الخيل أكثر من مائة فرس من أفراس الجاهلية والإسلام مع نسبتها إلي أصحابها[٣]

بلغ من إعزازهم للخيل إن الرجل كان يبت طاويا ويشبع فرسه ويؤثره علي نفسه وزوجته وولده[٤]

وبلغ من تعظيم الخيل أنهم كانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج[٥] وكانوا يضيفون لقب الفارس إلي فرسه، تعظيما وإكراما.

وكان من تقاليد العرب إلا يبيع فرسه مهما ضاقت به المسالك، لأن من يبيعها مثلبة لا تدانيها مثلبة، وهذا ما يوحي بلثقة الأكيدة التي تغمر قلب العربي، والاعتقاد الراسخ بحبه لهذا الحيوان الأصيل العريق ولا بد أن تعطي هذه الأهمية لهذا الحيوان، المكان البارز في ألأدب العربي، لأنه ملأ جوانب كثيرة من حياة العربي، فلا غرابة إذا وجدنا فريقا من الشعراء قد تخصصوا في أوصافه[٦] فذكر الأصمعي أن ثلاثة من العرب لا يقاربهم أحد في وصف الخيل، أبو داؤود فكان

---

(١) الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص١١١

(٢) المرجع السابق، ص٣٧١

(٣) المرجع السابق، ص١١٦

(٤) أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص٩١

(٥) العمدة المصدر، ٦٥/١

(٦) وصف الطبيعة ، ص١٣٣-١٣٤

علي خيل النعمان بن المنذر، والطفيل كان يركبها وهو أعزل إلي أن كبر والجعدي سمع أوصافها من أشعار أهلها فأخذها عنهم[1]

وطبيعة الحياة العربية وقسوة الظروف الطبيعية في بلاد العرب، جعلت العربي يستحب من خيله الصلابة والقوة لتكون قادرة علي تلبية كل مطلب، فهذا النابغة الجعدي يصف فرسه، فأضلاعه قوية شديدة كأنها ترس شديد الصقل، مأخوذة من خشب الجوز الذي لا يثقب.

يقول :

لُطِمــنَ بِتُــرسٍ شَــديدِ الصِــفاقِ ** مِــن خَشَــبِ الجَــوزِ لَــم يُثقَــبِ[2]

إذا كانت النياق وسيلة النقل – كما نقول اليوم – فالخيل كانت للركوب في الزينة والصيد والحرب، تشارك الفرسان في الطعن والضرب واللهو والصيد، وقد اقبل عليها شعراؤنا فوصفوها لجمالها وسرعتها، ولمشاركتها كما هي للحاجة، وقد جاء في كتب الأدب أن العرب كانت ترتبط بالخيل في الجاهلية والإسلام معرفة بفضلها – مما جعل الله تعالي فيها من العزة والفضل، فتكرمها وتؤثرها علي الأهلين والولد، وتفخر بذلك في الشعر والنثر. فحب الخيل قديم قبل الإسلام وبعده وذلك لتعلق العرب بهذا الحيوان وطول صحبتهم له وشدة أنسهم به. [3]

فكانوا بها يدافعون عما يملكونه ويحصنون ديارهم وينالون بها الغنائم ، ويتخذونها معاقل تقيهم غارة خصومهم، فظل ذكرها يتردد علي شفاههم.

كان لهم فيها من التباهي والتفاخر والتنافس ما يدعو إلي التأمل، ففي إكرامها إكرام للمرء نفسه لأنها وقاية للنفوس[4].

فقد دارت أوصافها في شعرهم، فلم يتركوا عضوا من أعضائها إلا وصفوه، وقد ارتسم في صورهم التي صوروها مدى الاهتمام بالاعتزاز الذي كان يساورهم تجاه هذا الحيوان والفرس عدة للفارس في الحروب، لغيرتها علي صاحبها وهذا ما

---

(1) الشعر والشعراء، ص١٤١

(2) المرجع السابق، ١٧٨

(3) الوصف ، ص١٥

(4) الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص١١١

جعلهم يقربونها من بيوتهم أكراما لها، وتعظيما لقدرتها واعتزازا بها، حتى سميت بالمقربات.

كان العرب يخدمون الخيل بأنفسهم يلبسونها غطاء الرأس لعزتها وأفتتح فريق من الشعراء قصائدهم بذكرها وكان السهر علي العناية بها مثار إعجاب الشعراء الذين كانوا يتخذون من ذلك موضعا للمدح[١]

(١) المرجع السابق، ص١١٢-١١٤

الفصل الرابع
أغراض أخرى

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : **الحماسة**

المبحث الثاني : **الفخر**

المبحث الثالث : **المدح**

المبحث الرابع : **الهجاء**

المبحث الخامس : **الرثاء**

المبحث السادس : **الحكمة**

المبحث الأول

الحماسة

الحماسة لغة: اسم مشتق من مزيد الثلاثي حَمِس حَمَساً (بمعني أغضبه) وهو تحمس يتحمس المرء إذا أشتد في الأمر وتشجع[١]

الحماسة هي: القوة والشدة والشجاعة[٢]، والحماسة في الحرب والقتال والشجاعة والغني بصفات البطولة والرجولة وركوب المخاطر وخوف غمرات القتال، ووصف ما في الحرب من كر وفر وعدد سلاح ودماء وجرحي وقتلي، ودعوة للحرب وأخذ بالثأر وما إلي ذلك، فهو بجملته فن البطولة[٣]

واصطلاحا، تعني الحماسة البتاجح بمظاهر القوة والبطش، والتغني بالبطولة والإشادة بانتصارات القبيلة في المعارك وهي من أهم موضوع في الشعر الجاهلي، فرضته كثرة الأيام أو الحروب الدائرة رحاها بين القبائل من أجل الدفاع عن شرفها[٤]

الحماسة تدور حول الفخر بالقبيلة وحول المعارك والأخذ بالثأر والتبجح بمظاهر البطش والقوة، ومن أبطالها عمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد[٥]

كان لا بد لهذا القرب من الشعر أن يكون مع الغزل في طليعة الفنون انتشارا لأنه يصور البطولة والمثل العليا للفروسية التي تقوم عليها حياة الصحراء، فليس غريبا أن يكون حظ المجاميع الشعرية من الحماسة هو الحظ ألأوفر فكثير من شعر المفضليات والأصمعيات هو شعر حماسة، بل غلبت علي مختارات أبي تمام والبحتري فكانت الفن الأول الذي ابتداء به وغلب أسمها علي الكتابين فسمي أبو تمام مختاراته (ديوان الحماسة)

شعر الحماسة إلي كثرته من أصدق الأشعار وأقواها وأشد أثرا في النفوس، ذلك لأن الشعراء كانوا أنفسهم فرسانا يخوضون غمرات القتال فيبصرون عن واقع

---

(١) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص٧٩

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة حمس فصل الحاء المهملة ٥٧/٦ باب السين فعل الحاء

(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٢٩٣

(٤) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص٧٩

(٥) الجاهلية فن وأدب وتاريخ، ص٧٥

مشهود وتجارب نفسية صادقة وإن لم يكن بعضها يخلو من المبالغة ومجاوزة الواقع.

والمعركة هي الميدان الفسيح الذي يستمد الشاعر منه معانيه الحربية، فيعرض في شعره صورا من أهوال القتال وما يكون فيه من كر وفر وجرحي وقالي وصياح، وما يلتمع فيه من المفاخر[١]

شعر الحماسة ذلك النوع الذي يتحدث عن الأيام المشهورة والمواقف المعروفة والبطولات النادرة والانتصارات المتوالية والبأس والقوى والدمار المنيع، والحمى، ومثل هذا الشعر كان الأنشودة الملتهبة والترنيمات التي تملأ القلب بالإقدام، والنفس بالثورة، واليد بالبطش، والروح بالميل إلي الاندفاع في سبيل الموت صونا لعرض كريم أو نفس عزيزة أو جاه رفيع أو ملكية مصونة أو حق يوشك أن يضيع

والعربي في الجاهلية علي اعتبار أنه كان في الصحراء متعرضا للوحوش الكاسرة والطيور الجارحة، والأفاعي السامة، بعض العلماء يري أن الحماسة من قبيل واحد كل ما هناك أن الحماسة فن البسالة في الميدان[٢]، كان طبيعيا جداً أن يتغني الشعراء ببطولات قومهم وإقبالهم من غير رهبة ولا خوف علي الموت منكلي بأعدائهم شر تنكيل ومفتخرين بشجاعتهم، ولذلك عد أبو تمام أشعار القدامى من باب الحماسة لأنها تجمع بقية الأغراض التي تدور حول مناقب القبيلة وأمجادها وما تعتز به من مثل كشرف النسب، وحماية الجار والمستجير، وإغاثة الملهوف وإكرام الضيف وإباء الظلم، والصبر علي الشدائد والأخذ بالثأر والاجتهاد علي الأعداء والابتلاء الحسن في الحروب، ومن شعراء الحماسة وأبطالها المشهورين عنترة بن شداد، وعمرو بن كلثوم وسائر الشعراء الفرسان، التي رفع فيها كثيرا من شأن قبيلة تغلب المعتادة علي الحروب وكيف لا، وأيامها كلها معارك طواحن، وجعلها فوق جميع القبائل التي لن تلقي إن سولت لها نفسها التغلبيين المؤثلة، والغني بانتصاراتهم الساحقة علي أعدائهم ووصف شجاعتهم الخارقة[٣]

---

(١) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٢٩٣-٢٩٤

(٢) بحوث في الدب الجاهلي، ص٦٣

(٣) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص٧٩

مَتـــي نَنَقُـــلْ إلـــي قـــوْمٍ رَحُانَـــا ** يكَونُـــوا فـــي اللقَـــاءِ لَهَـــا طَحينَـــا

يَكُـــونُ ثِفالُهَـــا شَـــرْقِيَّ نَجـــدٍ ** وَلهوَتُهَـــا قُضَـــاعَة أجْمَعينَـــا

نُطَـــاعِنُ مـــا تَرَاخَـــي النّـــاسُ عَنّـــا ** وَنَضْـــرِبُ بِالسُـــيوفِ إذا غُشِـــينَا

بِسُـــمرٍ مِـــن قَنَـــا الخَطَـــى لُـــدنٍ ** ذَوَابِـــلَ أوْ بِبِـــيضٍ يَختَلينَـــا

وَرَثْنَـــا المَجْـــدَ قَـــد عَلِمـــتْ مَعَـــدٌّ ** نُطَـــاعِنُ دُونَـــهُ حَتّـــى يَبِينَـــا

ونَحَـــنُ إذا عَمَـــادُ الحَـــي خَـــرّتْ ** عَـــنِ الأحفـــاضِ نَمْنَـــعُ مَـــنْ يَلينَـــا

كـــأنَّ سُـــيوفَنا فينـــا وَفـــيهِم ** مَخَـــاريقُ بأيـــدي لاعِبينَـــا[١]

لكن عنترة بن شداد في ذلك نظم أشعارا تغني فيها بشجاعته وبأسه وجرأته وفروسيته مدفوعا وإنما بحب عبلة التي من أجلها كان يجابه المكاره ويتهافت علي الحرب.

والواضح مما تقدم أن شعر الحماسة هو حقا شعر التغني بالقوة والبطولة والشجاعة، ولذلك كان قاتلوه من الرجال فقط إذ ليس من طبيعة النساء الاعتداء بالقوة الجسمية[٢] غير أن للمرأة في هذه المعارك شعر، تحرض فيه المقاتلين، علي القتال وتحث علي طلب الثأر وتصبر بالعزيمة وتحذر من قبول ديات القتلى[٣] ثم إن الحياة في ظروف البيئة الصحراوية الشحيحة مطرا أو نبتا كانت تستدعي قيام المناوشات والحروب بين القبائل والنصر يعود فيها دائما للأقوى عددا وفرسانا ومن هنا جاءت أشعار الحماسة جميعها بألفاظ ومعاني مغالية لا تخرج عن الإشادة بالمناقب والمفاخر ذاتها وإلي جانب التغني بمثل الجاهلية الرفيعة، فقد حوى شعر الحماسة كثير من المعلومات التاريخية الدقيقة عن أيام العرب الحربية كما أشتمل علي وصف غزير للأسلمة نحولامية أوس بن حجر التي صور فيها سيفه ودرعه

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزوني، ص١٢٤-١٢٦

(٢) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص٨١-٨٢

(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٢٩٦

ورمحه وقوسه والخيل أبي داؤود الأيادي وزيد الخيل وما توحيه من خواطر فلسفية حول الموت والحياة[١].

تعرضت المفضليات بصورة واضحة مفهوم الحماسة كما كان يتصور العربي الجاهلي مزاجا من البطولة والمروءة والرغبة في الانتقام والحرص علي الثأر، والإحساس بالعصبية القبلية التي تدفع إلي نصرة أخوانهم ظالمين أو مظلومين[٢]

ولنبدأ بالصورة العامة للحرب كما صورها شعراء المفضليات ونقف عند الأبيات التي كلي ابن المكعير الضبي مفتخرا بانتصار قومه تميم في يوم الكلاب الثاني علي قبيلة مزجح وأحلافها من اليمين[٣].

ومثل ذلك نراه في هذه الأبيات بن مني التغلبي[٤] مفتخرا ببلاء قومه في يوم الكلاب الأول الذي دارت رحاه بين بكر وتغلب

وَكائِن أزَرنا المَوت مِن ذي تَحِيَّةٍ ** إذا ما ازدِرانا أو أسَفَّ لِمَأثَمِ

وتردد مع صورة الحرب صور مختلفة من التهديد والوعيد شعراء القبائل علي خصومهم ينذرونهم من خلالها بأيام رهيبة تتناقل أنباءها أرجاء الجزيرة ويقول الحارث بن ظالم[٥][٦] مستودعا الملك النعمان بن المنذر[٧]

حسِبتُ أبا قابوس أنك سالِمُ ** ولِما تُصَبُ ذلا وانفُكَ راغِمُ[٨]

---

(١) المرجع السابق، ص٨٢

(٢) " أنصر أخاك ظالما أو مظلوما" الميداني مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٤٢

(٣) المفضلية رقم ٦، ص٢٥١-٢٥٢ ويوم كلاب الثاني بين تميم واليمن، فقد تحالفت قبائل اليمن من مدجج وكندة واغارو علي تميم

(٤) المفضلية رقم ٤٢ ، الأبيات ٢٠-٢٨، ص٢٠٨

(٥) الحارث بن ظالم بن غيظ المري أبو ليلي، أشهر فتاك العرب في الجاهلية، وفد علي النعمان بن المنذر ملك الخيرة، قتل في حوران بالشام سنة ٢٢هـ . (أنظر ألأعلام، للزركلي، ج٢٠/ ص١٥٥

(٦) المفضلية رقم ٨٨، ص٣١١-٣١٢ (الأبيات ١-٣)

(٧) النعمان بن المنذر بن الحارث بن جبلة الغساني، أميرة بادية الشام قبل الإسلام، نشأ في كنف أبيه في بيت الإمارة والملك في الجولان، شهد غزوة الرمانيين بأبيه وأخذهم إياه بالحيلة، عاش أسيرا إلي ما بعد سنة ١٩٥٣، توفي نحو ٢٨هـ. (أنظر الأعلام، للزركلي ، ج٨/٤٣

(٨) محارب مولاه يريد أنا محارب مولاه لأنه قتل ابن مالك، ويريد بقوله" ثكلان نادم" الملك النعمان الذي قتل ابنه فهو كثلان نادك.

فالشاعر هنا لا يتورع عن تعديد الملك نفسه مفتخرا بمن قتله من قومه من قبل، وأنه قادر علي أن يكرر المأساة من جديد.

ويقول عوف بن عطيه مع وصف الخيل ينتشر وصف الأسلحة سواء منها أسلحة الهجوم: السيف، الرمح، القوس، والسهام أو أسلحة الدفاع علي نحو ما نري في أبيات الحصين[١] بن الحمام المري[٢]

نُطـــاردُهُم نَســتَنقذُ الجُــردَ كَالقَنــا ** وَيَســتَنقذِونَ السَــمهَريَّ المُقَوَّمــا

عَشــيِّةَ لا تُغنــي الرِمــاحُ مَكانَهــا ** وَلا النَبــلُ إلاَّ المَشــرفِيَّ المُصَــمَّا

وتكرر معارض الأسلحة في قصائد أخري – وكأنما يحرصون علي أن يستعرضوا أسلحتهم في كل مناسبة يقدمون فيها صورا من بطولتهم وفروسيتهم علي نحو ما نري عند ثعلبة[٣] بن عمرو العبدي[٤]

بِـهِ أشـهَدُ الحَـربَ العَـوانَ إذا بَـدَت ** نَواجِــذُها وَاحمَــرَّ مِنهــا الطَوائِــفُ[٥]

وتنتشر هذه المعارض في المفضليات بصورة واسعة، تارة يعرض فيها الشاعر نماذج كاملة لأسلحته، وتارة يعرض فيها نماذج مختارة منها[٦]

أعــدَدتُ للأعــداءِ مَوضُــونَةً ** فَضفَاضَــةً كــالنِّهي بالقَــاعِ

بِــزّةُ امــرِئٍ مُستَبسِــلٍ حــاذِرٍ ** لِلــدَهر جَلــدٍ غَيــرِ مِجــزاعِ[٧]

---

(١) الحصين بن الحمام بن ربيعة المري الذبيان، أبو زيد، شاعر فارسي جاهلي، كان سيد بني سهم بني مرة (من ذبيان) في شعره حكمة، وهو ممن نبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، مات قبيل ظهور الإسلام نحو ١٠ ق.هـ، له ديوان شعر. (أنظر الأعلام، للزركلي، ج٢، ص٢٦٢)

(٢) المفضلية رقم ١٢، ص٦٤، الأبيات ٩-١٦

(٣) ثعلبة بن عمرو العبدي، من سليمة بن عبد القيس شاعر جاهلي، يقال له ابن أم حزنة، أورد له المفضل قصيدة بائية، وقصيدة علي روي الفاء، خمسة عشر بيتا. (أنظر الأعلام، للزركلي، ٢/٩٩).

(٤) المفضليات ٧٤ ص٢٨١ الأبيات ٥-١٢

(٥) الشوهاء: الفرس الحسنة الخلق لم توشم يداها: أي نقية لم تحتج إلي وشم

(٦) المفضلية ٧٥ص ٢٨٣ الأبيات ٦-٩

(٧) الشوهاء: الفرس الحسنة الخلق لم توشم يداها: أي نقية لم تحتج إلي وشم

وفي بعض القصائد نري المعارض لا تضم إلا نوعا واحدا من الأسلحة علي نحو ما نري في قول عبد المسيح[١] بن عسلة[٢]

غَـدَونا إلَـيهِم وَالسُـيوفُ عِصـيُّنِا ** بِأيمانِنِـا نَفلـي بِهِـنَّ الجَماجِمـا[٣]

وفي قول خراشة[٤] بن عمرو العبسي الذي يكتفي في معرضه بالسيوف أيضا

وَجَمـعَ بَنـي غَـنمٍ غَـداةَ حُبالـةٍ ** صَـبَحنَ مَـعَ الإشـراقِ مَوتـاً مُعَجَّـلا

بِكُـلِّ سُـرَيجِيٍّ جَـلا القَـين مَتنَـه ** رَقيـقِ الحَواشـي يَتـرَكُ الجُـرحَ انجَـلا[٥]

ولعل شاعرا من شعراء المفضيات لم يفصل القول في وصف أسلحته مثلما فعل يزيد بن ضرار[٦] في مفضليته الطويلة المشهورة[٧] التي مطلعها

صحا القلب عن سلمي ومل العواذل ** ومـا كـاد لايـا حـب سـلمي يزايـل

ومع أنه من المحتمل أن يكون الشاعر نظم هذه القصيدة بعد الإسلام لأنه يتحدث عن مقدمتها عن الشيب.

وتردد الصورة مرة أخرى عند الحارث نفسه[٨] حيث نراه يفتخر بقتل خالد الذي اشار إليه في أبياته السابقة كما يفتخر بالسبايا اللاتي أصابهن، والائي اشار إليهن في الأبيات نفسها:

---

(١) عبد المسحي بن عسلة الشيباني، شاعر جاهلي، نسب إلي أمه عسلة بنت عامر بن شراكة، أختار صاحب المفضليات ماقطيع شعره وأخباره قليلة، توفي نحو ٥٠ق.هـ (أنزر الأعلام، للزركلي، ج٤، ث٥٣)

(٢) المفضلية رقم ٨٣، ص٣٠٤ البيت الثاني

(٣) المفضلية رقم ١٢١، ص٤٠٤، البيتان ١٢، ١٣

(٤) خراشة بن عمرو العبسي، شاعر جاهلي، من الفرسان، حضر يوم شغب جبله الذي قتل فيه لقيط بن زرارة، وقال في ذلك اليوم قصيدة من المفضليات ١٤ بيتا. (أنظر الأعلام للزركلي، ج٢، ص٣٠٣)

(٥) حبالة : موضع . السرجي: السيف نسبة إلي سريج

(٦) المزرد بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني، فارس، شاعرت جاهلي، أدرك الإسلام في كبره وأسلم، ويقال اسمه يزيد، غلب عليه لقب مزرد، وهو الأخ الأكبر للشماخ، كان هجاء في الجاهلية، له ديوان شعر صغير من رواية ابن السكيت. توفي نحو ١٠هـ. (أنظر الأعلام للزركلي، ج٧، ص٢١١)

(٧) المفضلية ١٧، ص٩٣

(٨) المفضلية ٨٩ ص ٣١٣. الأبيات ١-٦

وإنـــي يــوم غمـــرة غيــر فخـــر ** تركـــت النهـــب والأســـرى الرغابـــا[١]

وأن المرقش الأكبر[٢] ركز الأضواء علتي صورة القتلي وحدها، وكأنها عنده هي الدلالة القوية علي الانتصار الذي سجله علي أعدائه:

وكـــائِنْ بجُمْـــرانَ مِـــنْ مُزعَـــف ** ومِـــنْ رَجُـــلٍ وَجْهُـــهُ قـــد عُفِـــرْ[٣]

ومن تصوير الشعراء لنهاية القتال تظهر ظاهرة قد يبدو الحديث عهنا غريبا في مجال الفخر وهي الفرار من ميادين القتال وهي ظاهرة كانت شريعة الحرب تعترف بها وكان بعض الفرسان لا يجدون غضاضة من اللجوء إليها، ولعلهم كانوا يرون فيها سلاحا من أسلحتهم يضمن لهم النجاة ليعيدوا الكرة من جديد[٤].

وتحتفظ المفضليات بقصيدة طريفة تسجل هذه الظاهرة وتدور كلها حولها، وترسم صورة لهذا الأسلوب في خطة الحرب الجاهلية التي كان يلجأ إليها المقاتلون أحيانا حيث تضيق المواقف من حولهم، ويجدون من الفرار أسلوبا للنجاة من الأسر وهي قصيدة الحارث[٥] بن وعلة الجرمي[٦]

وَلَمَّـا رَأيـتُ الخَيـلَ تَتَـرَي أثائِجـاً ** عَلمـتُ بـأنَّ اليَـومَ أحمَـسُ فـاجِرُ[٧]

يسجل الشاعر أسباب فراره ويحاول تبريرها، فقد اندفعت خيل العدو خلفه تطارده لتأخذه أسيراً، وتراءت له حياته في الأسر، ما ينتظره فيها من ذل وهوان من حراسة تفرض عليه حين تقف علي بابه سجانة قاسية[١].

---

(١) غمرة : جبل دارت فيه الموقعة، والرغابا: الكثيرة

(٢) المفضلية ٥٢، ص٢٣٥ الأبيات ٤-٨

(٣) جمان: موضع، المزعف: القتيل قتل غفلة عر: أي جرّ

(٤) د. يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ٢١١

(٥) الحارثة بن وعلة عبد الله الحارث الجرمي، شاعر جاهلي من فرسان قضاعة، شهد يوم الكلاب الثاني بين جبلة وشمام، وكاد قيس بن عاصم النقري ولكنه نجا. (أنظر الأعلام للزركلي، ١٥٨/٢)

(٦) المفضلية ٣٢ ص ١٦٤ ، الأبيات كلها ١-١١ (وقد حقق الأستاذ عبد السلام هارون اعتمادا علي مصادره لوعلة الجرمي لا لابنه الحارث فهو الذي شهد يوم الكلاب الثاني وهو الذي وفر منه إمام غيث بن عاصم المنقري.

(٧) جمان: موضع، المزعف: القتيل قتل غفلة عر: أي جرّ

وإذا كان الشعراء قد تحدثوا عن فرارهم من القتال فمن الطبيعي أن يتحدثوا عن فرار أعدائهم ولكن الغريب أنهم في الوقت الذي يتخذون من فرارهم هم أنفسهم مجالا للفخر، يتخذون من فرار أعدائهم أعدائهم مجالا للهجاء والسخرية والتهكم، وتتردد هذه الصورة كثراً في المفضليات علي نحو ما نري في قول بشر(٢) بن أبي خازم(٣)

وَلَـــم نَهلِـــك لِمُــرَّةَ إذ تَوَلَّـــوا ** فَســـاروا سَـــيرَ هارِبَـــةٍ فَغـــاروا(٤)

فهو يصور فرار أعدائه من القتال وقد انطلقت بهم خيلهم في عدو سريع تثير الغبار بسنابكها التي تضرب الأرض بشدة

ونستطيع أن نري مثلا آخر في قصيدة عوف(٥) بن عطية الربابي(٦)

بِكُـــلِّ مَكـــانٍ تَـــرَي مِـــنهُمُ ** أرامِـــلَ شَـــتَّى وَرَجلـــي حِـــرَارا(٧)

علي هذه الصورة شغل موضوع الحرب قسما كبيرا من قصائد المفضليات الجاهلية وكشف لنا عن طبيعة الصراع الذي كان دائرا بين القبائل في هذا العصر كل شاغر يذكر الدمن والأطلال والرسوم وهي باقي الماضي والعلاقات الأولي في الطريق لا بدء إلا من الماضي(٨)

---

(١) لعل هذا بلفت النظر إلي أن الذين كانوا يقومون علي حراسة الأسرى في سجونهم من النساء ولعل هذا يجعلنا نظن أن " الشيخة العبشمية التي تحدث عنها عبد يغوث في قصيدته التي تحدثنا عنها منذ قليل كانت قائمة علي إثره، وربما يدفعنا إلي القول بأن هؤلاء السجانات كن من المتقدمات في السن

(٢) بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي، شاعر جاهلي، من أهل نجد، من بني أسد بن خزيمة، توفي قتيلا في غزوة أحد، أغار بها علي بني صعصعة بن معاوية سنة ٢٢ق.هـ، له ديوان شعر مطبوع، تحقيق د. عزة حسن في دمئق. (أنظر الأعلان، للزركلي، ٥٤/٢)

(٣) نمير وكلاب وسليم وأشجع هي القبائل المعادية لقومه

(٤) المفضلية ١٢٤ ص ٤١٢ الأبيات ٣٦-٤٢

(٥) عوف بن عطية الربابي بن عمرو الملقب بالخرع بن عبس بن وديعة التيمي، شاعر جاهلي، أدرك الإسلام، وعده ابن سلام في الطبقة الثامنة من الإسلاميين، ونعته الزبيدي بالفارسي. (انظر الأعلام، للزركلي، ٩٦/٥)

(٦) المفضلية ٩٨ ص٣٣٨ الأبيات ٣٦-٤٠

(٧)لعل هذا بلفت النظر إلي أن الذين كانوا يقومون علي حراسة الأسرى في سجونهم من النساء ولعل هذا يجعلنا نظن أن " الشيخة العبشمية التي تحدث عنها عبد يغوث في قصيدته التي تحدثنا عنها منذ قليل كانت قائمة علي إثره، وربما يدفعنا إلي القول بأن هؤلاء السجانات كن من المتقدمات في السن

(٨) قراءة ثانية لشعرنا القديم، د. مصطفي ناصف، ٥٥٤

الحماسة لغة: القوة والشدة والشجاعة[١] وقوم حمس متشددون في الدين، والحماسة فن الحلاب والقتال والشجاعة وركوب المخاطر وخوض غمرات القتال، ووصف ما في الحرب من كر وفر وعدد وسلاح ودماء وجرحي وقتلي، ودعوة للحرب، وأخذ بالثأر، فكثير من شعر المفضليات والاصمعيات والوحشيات هو شعر حماسة بل غلبت علي مختارات أبي تمام والبحتري[٢] فكانت الفن الأول الذي ابتداء به وغلب اسمها علي الكتابين[٣]، فسمي أبو تمام (ت ٢٣١هـ) مختاراته (ديوان الحماسة) وكذلك فعل البحتري (٢٨٤هـ) [٤]

وشعر الحماسة إلي كثرته – من أصدق الأشعار وأقواها وأشدها اثرا في النفوس، ذلك لأن الشعراء كانوا أنفسهم فرسانا يخوضون غمرات القتال فيعبرون عن واقع مشهود وتجارب نفسية صادقة وأن لم يكن بعضها يخلو من المبالغة ومجاوزة الواقع.

وكل بلاد أقمت بها وطاب لك العيش فيها هي لمسقط رأسك ومحل ولادتك:

تَلقي بِكُلِّ بلادٍ إن حَلَلتَ بِها ** أهلاً بِأهلٍ وَجيراناً بِجيرانِ

يكشف لك هذا البيت أن نفسه تطيب بالسفر وتسلو عن الأهل والبلد إذا لم تجد عدالة تعيش في ظلها ولم تجد الإقامة في دار يسودها الظلم؟

---

(١) الاحمس : الشجاع ، الشديد الصلب في الدين والقتال.

(٢) البحتري: هو ابو عبادة الوليد بن عبيد بن شملان: شاعر كبير ، يقال لشعره سلاسل الذهب، ولد بمنبج بحلب سنة ٢٠٦هـ ورحل إلي العراق فأتصل بجماعة من الخلفاء، أولهم المتوكل العباسي، ثم عاد إلي الشام وتوفي بمنبج سنة ٢٨٤هـ ، من آثاره ديوان شعر ، وكتاب الحماسة (أنظر ترجمته في وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، المتوفي ٦٨١ هـ ، تحقيق د. يوسف علي طويل، ط١، بيروت دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، ١٦/٥، والأعلام للزركلي، ١٢١/٨).

(٣) كان أبو تمام قد جمع في حماسته كل معاني البطولة والفروسية من وصف الحرب وما ينجم عنها وما يتفرع عنها من صفات خلفية كالنخوة والصبر علي المصيبة والتجلد في المحن. أما البحتري فقد فصل في ذكر جزئيات من الحماسة، فأبيات فيما قيل في الفتك وأخرى في مكاشفة الأداء وترك التستر منهم وثالثة في حمل النفس علي المكروه أو فيما قيل في التحريض علي القتل بالثأر وهكذا فقد جزأ في أفكار الحماسة وموضوعاتها. ولذلك جاءت حماسته في أربعة وسبعين ومائة باب ، بينما جعل أبو تمام حماسته في عشرة أبواب.

(٤) وتابعهما ابن الشجري (٥٤٢هـ فسمي كتابه حماسة ابن الشجري(طبع في الهند ١٣٤٥هـ) وطبع في دمشق ١٩٧٠م باسم: الحماسة الشجرية) وصدر الدين بن أبي الفرج البصري (٦٥٩هـ) سمي كتابه: الحماسة البصرية (طبع في الهند). وذكرت المصادر بعض الكتب التي سميت بالحماسة مما يصلنا أو وصل ولم يطبع بعد، فمن ذلك: الحماسة لابن المرزبان

المبحث الثاني

الفخر

الفخر لغة التباهي والافتخار من فخر يفخر[١]

ومعناه اصطلاحا الاعتداد بالمناقب والمكارم المجسمة في الفرد أو في القبيلة، وهو أشد اتصالا بالمدح، وبالحماسة لدوران الأغراض الثلاثة حول الخصال والشمائل التي كان البدوي يعتد بها في الجاهلية[٢]

وهي التغني بالفضائل والمثل العليا، والتباهي بالسجايا النفسية والصفات القومية، والزهد لفعال الطيبة وخصاله وفعاله، من الشجاعة والكرم والمروءة وحماية الجار وطيب المنبت وعراقة الأصل وكثرة المال والولد إلي غير ذلك مما يزهو به الإنسان ويختال به علي غيره[٣] والافتخار هو المدح نفسه إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار ومن أبيات الافتخار قول امرؤ القيس:

ما ينكر الناس منا حين تملكهم ** كانوا عبيداً وكنا نحن ارباباً[٤]

والفخر قد أملته عليهم البيئة – فقد كان لا بد لهم من التمدح بمآثرهم ومآثر قبائلهم حتى يعيشوا هذه الحياة التي تمتد علي العصبية وعلي الصفات الكريمة[٥].

الفخر من توابع العصبية والحياة القبلية وكان الشعر يفتخر بقومه أولا وبنفسه ذلك أن يكون المفتخر بقومه قد اصبح سيدا في قومه، وفي سن باكرة علي الأخص، وكان البدوي يفتخر بالنجدة والإسراع إلي معونة الأقربين من ذات يده أو ذات نفسه أو بسيفه وكان ايضاص يفتخر بشرب الخمر واسقائها كانت في الجاهلية نادرة غالية الثمن[٦]

---

(١) لسان العرب لابن منظور، فصل الفاء مادة فخر ج ٥، ص٤٨

(٢) المرجع السابق، ص٧٦

(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٣٥٠

(٤) العمدة، ج٢، ١٤٣-١٤٤

(٥) التاريخ الأدبي للعصرين الجاهلي والإسلامي الأول ، ص٥١

(٦) تاريخ الأدب العربي، ص١/٨٣

فقد كان العربي يفتخر بنفسه وقومه فلا يدعوه الإسراف ولا يجزه الغلو إلي وصف نفسه بما ليس فيها إنما يذكر الإسراع إلي الصريخ والصبر عند اللقاء ويذكر الخيل والسلاح، والغناء في الحرب[1]

كانت لهم أسواق للقول – ومجالس يذكرون فيها أحسابهم، وأنسابهم ويمتدحون بكريم خلالهم وجميل خصالهم، ورفيع شيمهم وإلي جانب ذلك كانت لهم حروب وينالون فيها خصومهم، يبلغون غايتهم من أعدائهم وربما كانت بعض الرسائل لذلك أن يفخر الرجل بنفسه أو بقومه أو يهم بالثناء علي سيد قبيلته ورئيس رهطه وحينئذ يكون هذا اللون من شعر الفخر صادق التصوير ، صحيح التعبير[2]

وقد كانوا يهنئون بالشاعر ينبع وبالفارس يشتهر أمره، قل إن تجد شاعر خلا شعره من الفخر، الصفات التي مدحوا بها سادتهم، هي التي فخروا بها علي غيرهم ويكثر الفخر في شعر الأبطال منهم، ولا سيما إذا كانت شجاعتهم هي كل ما يعتزون به، كما هو الشأن مع عنترة، فقد كان ابن أمه سوداء كان محقراً عند قومه، فلما ظهرت شجاعته جعل يفتخر بها ليتعافي بذلك عما لحقه من هوان، كما يكثر في شعره[3] الفخر في الشعر الجاهلي نوعان، شخصي وقبلي ومن خير ألأمثلة له، معلقة عمرو بن كلثوم ومعلقة الحارث بن حلزة، هما في الفخر القبلي ومعلقة طرفة ومعلقة عنترة وهما في الفخر الشخص والنوعان في معلقة لبيد[4] والمشهورون من شعراء الفخر هم:

امرؤ القيس، عنترة، طرفة، الحارث بن حلزة، عمرو بن كلثوم

فمن الفخر الفردي قول امرؤ القيس مفتخرا بنفسه زاعما أن لا أحد يشبهه في الوفاء بالعهد، والصبر علي الشدائد والشجاعة[5]

فَدَع ذا وَسَل لا هُمَّ عَنكَ بِجِسرَةٍ ** ذُمولٍ إذا صامَ النَهارُ وَهَجَّرا

عَلَيها فَتيً لَم تَحمِلِ الأرضُ مِثلَهُ ** أبَرَّ بِميثاقٍ وأوفي وأصبَرا

([1]) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، ص١٠٠

([2]) بحوث في الأدب الجاهلي، ص٥٣

([3]) التاريخ الأدبي للعصرين الجاهلي والإسلامي الأول ص٥١-٥١

([4]) تاريخ الأدب الجاهلي، ص٣٦٤

([5]) المفيد الغالي للأدب الجاهلي، ص٧٦

هُوَ المُنزِلُ الآلاف مِن جَوِّ ناعِطٍ ** بَني أَسَدٍ حَزناً مِنَ الأَرضِ أَوعَرا

وَلَو شاءَ كانَ الغَزوَ من أَرضِ حِميَرٍ ** وَلَكِنَّهُ عَمداً إِلى الرومِ أَنفَرا

والفخر إنما يحسن إذا كان الشاعر يمتدح بالفضائل النفسية والخصال الخلقية بعيدا عن التباهي بالأمور المادية والقوة الجسدية والتاخر بالأنساب والأصول والقبائل وإذا كان هذا الضرب من الفخر ما كان تغنياً بالفضائل وتمدحا بالمثل العليا دون مبالغة مفرطة ولا مجاوزة للمألوف، ولذلك ستجد في قول حاتم الطائي[١] لأنه تعبير عن واقع مألوف وحقيقة صادقة[٢]

أَما وَالَّذي لا يَعلَمُ الغَيبَ غَيرُهُ ** وَيُحيِيّ العِظامَ البيضَ وَهيَ رَمَيمُ

لَقَد كُنتُ أَطوي البَطنَ وَالزادُ يُشتَهي ** مَخافَةَ يَوماً أَن يُقالَ لَئيمُ[٣]

أشهر قصيدة عرفت في الفخر هي قصيدة عمرو بن كلثوم التي بلغت أربعة أبيات ومائة وكلها فخر وحماسة، وقد كانت تغلب قبيلة الشاعر تعظم هذه القصيدة وتحتفل لإنشادها حتى هجاهم لذلك أحد الشعراء فقال:

الهي بني تغلب عن كل مكرمة ** قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يروونها أبدا منذ كان أولهم ** يا لرجال لشعر غير مسئوم[٤]

والقصيدة احدى المعلقات السبع التي يبدأها بذكر الخمر متجاوزا الوقوف علي الديار:

أَلا هُبّي بِصَحنِكِ فَأَصبَحينا ** ولا تُبقي خُمورَ الأَندَرينا[٥]

([١]) حاتم الطائي هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عدي، فارس ، شاعر، جواد،/ جاهلي، من أهل نجد، مات في عوارض (جبل في بلاد طيء)، توفي سنة ٤٦ق.هـ.(أنظر الأعلام، للزركلي، ج٢، ص١٥١)

([٢]) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٣٠١

([٣]) ديوان حاتم الطائي ص٨٩

([٤]) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٣٠٢

([٥]) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٣٠٢

يظهر واضحا من شعر الفخر أن العربي في الجاهلية كان يحب أن يظهر نفسه بمظهر التفوق

ويتضح من فخرهم أن الميل إلي الإعجاب الشديد بالنفس كان متسلطا علي العرب في الجاهلية لدرجة عظيمة، حتى أن الشاعر في بعض الأحيان كان يفخر بتفوق فرعه علي بقية فروع قبيلته الأخريين، فيري أنه نال من الأمجاد والبطولة والفوز ما يستطيع الآخرون أن يصلوا إليه وأظهر مثل ذلك قول عمرو بن كلثوم:

وَكُنّـــــا الايمَنـــــينَ إذا الِتَقَينَـــــا ** وَكـــــانَ الايسَـــــرين بَنـــــو أبينـــــا

فصــــالوا صَــــولة فــــيمَن يَلــــيهِم ** وَصُــــلنا صَــــولَةً فــــيمَن يَلينــــا

فــــآبوا بِالنِهــــابِ وَبالسَــــبايا ** وَأُبنــــا بِــــالمُلوكِ مُصَــــفَّدينا[1]

فقومه هم الايمنون، في حين أن بقية عشيرته من غير فرعه كانوا أهل الشمال وبينما رجع هؤلاء من الحرب بالنهاب والسبايا، عاد قومه وقد أسروا ملوك الأعداء ورؤسائهم، وقد صفدوهم بالقيود والأغلال.

وفي الفخر نري أن ما قيل من ناحية القبيلة يكاد يكون ثلاثة أضعاف ما قيل في الناحية الشخصية وهذا معناه أن العصبية القومية كانت مساندة في ذلك الحين، حتى أستولت علي نفوس الشعراء، وسيطرت إلي حد كبير علي مشاعرهم، فكان فيها معظم إنتاجهم، ولكن هذا يدلنا من ناحية أخرى علي أن الشاعر في وسط هذا الشعور الجماعي المتسلط – ما كان لينسي نفسه كفرد قائم بذاته وكشاعر له إحساسه الخاص، فكان يتحدث عن نفسه ويفتخر بشخصيته وبطولته، وقوته، في حرية تامة، وكيف ما شاء[2]

وافتخرت النساء أيضا ولكن فخرهن لم يكن بأنفسهن، وإنما كان إشادة بقبائلهن وأقاربهن، فالخنساء تفخر بقومها في مجال الرثاء:

وَأنفــــي رِجــــالي فَبــــادوا مَعــــاً ** فَغــــودِرَ قَلبــــي بِهِــــم مُســــتَفَزّا

---

(1) شرح المعلقات السبع للزوزوني ص١٣٠-١٣١

(2) في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي. ص٢٧٣

وَنَلــبَسُ فــي الحَــربِ نَســجَ الحَديــدِ ** وَنَســـحَبُ فـــي السِـــلمِ خَـــزّاً وَقـــزّا[1]

وكذلك افتخرت عاتكة بنت عبد المطلب[2] بقومها فتحدثت عن شجاعتهم وبلائهم

ســـــائِل بِنـــــا فـــــي قومنـــــا ** وَكَفـــــاكَ مِـــــن شـــــرَّ ســـــماعُه

ولقد افتخرت الشاعرة بأمها عنها، من ذلك إن أم زينب بنت فروة ابن سنان كانت أمه فارسية:

وَلَــم يُــرَ فــي أفنــاء مــرّةٍ مثلهــا ** وَلا عنـــدَ قيســـيّ غنيمـــة قافـــلِ[3]

وفخر المرأة علي قلته وضعفه ليس فيه من الأنوثة شيء، كالعفة والجمال والدقة وحلاوة الحديث، وإسعاد الزوج ورعاية الأولاد وتدبير البيت وإنما هو فخر بالرجال وأعمالهم.

ولم تختلف الإسلاميات عن الجاهليات في شيء، فمثلا ليلي الأخيلية[4] بعض الفخر بهجائها للنابغة الجعدي، فتباهي بعزة قومها:

ومــا كــانَ مَجْـدُ فــي أُنــاسٍ عَلمْتــهُ ** مِـــنَ النَّـــاسِ إلا مَجْـــدُنا كـــان أوّلا[5]

أما فخر الرجال فقد كان فيه ضرب من الفخر بالقبيلة كلها حسبها وعددها وثرائها وبطولتها، وضرب من الفخر الشخصي الفردي بمثل النوع الأول قول عمرو بن كلثوم:

---

(1) ديوان الخنساء، ص١٤٣

(2) عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم، شاعرة، لها في أبيات الحماسة وأبيات مختارة، وهي من عمات النبي صلى الله عليه وسلم، اختلف في إسلامها والثابت أنها كانت ويم وقعة بدر سنة ٢هـ بمكة مع شركي قريش، قال ابن سعد أسلمت بمكة هاجرت إلي المدينة. (أنظر الإعلام للزركلي، مرجع سابق/ ج٣، ص٢٤٢

(3) بلاغات النساء ١٨٢، قافل : راجع من الحرب بالغنائم

(4) ليلي الأخيلية: ليلة بنت عبد الله الرحال بن شداد بن كعب، من بني عامر بن صعصعة، اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير، طبقتها في الشعر تلي طبقة الخنساء. توفيت بساوة(من بلاد الري) نحو ٨٠هـ. (أنظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٥م، ١/١٩٣).

(5) اشعار النساء للمرزباني ٤ مخطوط وبلاغات النساء ١٧٠

ونَـــشْرَبُ إنْ وَرَدْنــا المَــاَء صَــفْواً ** وَيَشْــــرَبُ غَيرُنَـــــا كَـــــدِراً وَطينــــــاً[1]

وقول لبيد:

وَمقَسَّـــمُ يُعطـــي الْعشِـــيرَةَ حَقَّهـــا ** وَمُغَـــــذْمِرُ لحُقوقهَـــــا هَضــــــامها[2]

وقول أمية بن ابي الصلت[3]

وَأَنّـــــا الرافِعـــونَ عَلـــــي مَعَـــدًّ ** أكُفـــاً فــــي المَكــــارِمِ مــــا بَقينــــا[4]

ويتمثل الضرب الثاني في الزهو باللذات والكرم والبطولة في قول عنترة:

لَـو كـانَ يَـدري مـا المُحـاوَرَة اِشـتَكي ** وَلَكـــانَ لَـــو عَلِـــمَ الكَـــلامَ مُكَلِّمـــي[5]

وكقول طرفة:

أنــا الرَجُـلُ الضَــربُ الَّـذي تَعرِفونَــه ** خَشــــاشُ كَــــرَاسِ الحَيّـــةِ المُتَوَقِّـــدِ[6]

وولي الحجاج[7] يزيد [1] بن الحكم كورة فارس ودفع إليه عهده بها، فلما دخل إليه ليودعه قال له الحجاج: أنشدني بعض شعرك – وإنما أراد أن ينشده مديحا له فأنشده قصيدة يفخر فيها ويقول:

([1]) شرح القصائد العشر للتبريزي وديوان عمر بن كلثوم

([2]) جمهرة أشعار العرب ص١١٥ ، مغذمر: يأخذ من هذا ويدع ذاك، هضامها: مناحها

([3]) أمية بن ابي الصلت هو أمية بن عبد الله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف، الثقفي، شاعر جاهلي، من أهل الطائف، قدم دمشق فبل الإسلام، شعره من الطبقة الأولي، توفي سنة ٥هـ، رحل إلي البحرين، فأقام ثمانية سنين ظهر في اثنائها الإسلام، ثم عاد إلي الطائف، قد علي النبي بمكة وسمع منه آيات من القرآن وأنصرف عنه. أمتنع عن الإسلام وأقام في الطائف إلي أن مات. (الأعلام للزركلي، ١٦٨/٢)

([4]) الجمهرة ١٨٩

([5]) شرح القصائد العشر للتبريزي وديوان عنترة

([6]) شرح القصائد العشر للتبريزي وديوان طرفة، الضرب: الخفيف، خشاش: ماضي، متوقد: ذكي

([7]) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، ولد ونشأ في الطائف إليها العراق، بني مدينة واسط (بين ولاه عبد الملك بن مروان مكة والمدينة والطائف، ثم اضاف إليها العراق، بني مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة). (أنظر ترجمته في تذهيب تاريخ دمشق الكبير، لابن عساكر، تـ ٥٧١هـ ، وهذبه الشيخ عبد القادر بدران ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ٥١/٤، والأعلام للزركلي، ١٦٨/٢

وأبـي الّـذي سَـلَبَ اِبـنَ كِسـرى رأيـةً ** بَيضــــاءَ تَخفِـــقُ كَالعُقـــابِ الطـــائِرِ

فغضب الحجاج واسترجع منه العهد، ثم سأله أيهما خير لك ما أورثك أبوك أم هذا فقال يزيد

وَورثـــتُ جَـــدّي مَجـــدَهُ وَفِعالَـــهُ ** وَوَرَثـــتَ جَـــدَّك أعنَـــزاً بالطـــائِفِ[٢]

وللفرزدق شعر يذكر فيه وقعة وكيع هذه مفتخراً:

خَبيـرُ بِأعمـالِ الرِجـالِ كَمـا جَـزي ** بِبَـــدرٍ وَبِـــاليَرموكِ فَـــيء جَنـــانِ[٣]

فالشاعران الفرزدق[٤] والطرماح[٥] يفخران بما نزل بقتيبة، وكل يدعي النصر لقومه، وإنهم أصحاب البلاد والانتصارات للخليفة.

وقد رأيت رثاء في قتيبة قصيراً، وكثر رثاؤه ومنهم الأصم بن الحجاج الباهلي، ورثاؤه هذا فجر بفتوح قتيبة، ومآثره علي الدولة وبعد آماله وحيلولة الموت بينه وبين ردم ذي القرنين.

الاصم بن الحجاج:

ألـــم يـــئن للأحيـــاء أن يعرفـــوا لنـــا ** بلـــي نحـــن أولـــي النـــاس بـــالمج والفخـــر[٦]

يفتخر الشاعر بفتوحات قتيبة وانتظاراته علي ذي القرنين ألم يعرف العالم كله أننا أصحاب النصر والفتوحات.

---

(١) يزيد بن الحكم بن ابي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان من أعيان العصر الأموي ، من أهل الطائف، سكن البصرة وولاه الحجاج كورة فارس، ثم عزله توفي نحو ١٠٥هـ (أنظر الأعلام للزركلي، ج٨/٨١)

(٢) الأغاني ج١١، ص ١٠٠ بولاق

(٣) راجع شرح نقائض جرير والفرزدق ص٣٦٣

(٤) الفرزدق : هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مشاجع بن دارم التميمي المعروف بالفرزدق من أهل البصرة، توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ، وقد قارب المائة من آثاره ديوان شعر. (أنظر هدية العارفين، ج٢/ص٥١٠

(٥) الطرماح بن حكيم بن الحكم، من طيء ، شاعر إسلامي ، فحل ، ولد ونشأة في الشام، وأنتقل إلي الكوفة، وأعتقد مذهب الشراة من الأزارقة، أتصل بخالد بن عبد الله القسري، وكان هجاءا، معاصر للكميت، توفي نحو ١٢٥هـ. (أنظر الأعلام، للزركلي، ج٣، ص٢٢٥)

(٦) أنظر الأعلام للزركلي، ج٣، ص٢٢٥

القطامي[١]عمر بن شيم التغلبي ابن أخت الأخطل[٢]، وقد وقف مع قومه يفخر بهم علي غرار قوله:

ربيعـةُ أبـائي الأُلــي اقتسـموا العلــي ** إذا عُـــدَّ بـــاقٍ مـــن زمـــان وســـالِفُ[٣]

هذا ولم يسلم فخره علي الأخطل من الملاحظة المضرية، وما ظفرت به من مجد ديني وسياسي معا في حين حرمت تغلب كل شيء:

هـاذا ابِـنُ عَمّـي فـي دِمَشـقَ خَليفَـةً ** لَـــو شِـــئتُ ســـاقكُمُ إلَـــيَّ قَطينـــا[٤]

وإن جرير يفخر بأبناء إسماعيل وإسحاق

إذا افِتَخَـروا عَـدّوا الصَـبَهبَذَ مِـنهُمُ ** وكِســـرى وَآلَ الهُرمُـــزانِ وقَيصَـــر[٥]

ويذكر لسليمان رعايته آل المهلب بعد خلاصهم من أسر الحجاج وأن نقم عليهم وعلي اليمن عامة والأزد خاصة بصدد ثورة يزيد بن المهلب[٦] علي يزيد بن عبد الملك[٧] هذه الفرصة فيفخر بمضر علي اليمن وبقومه تميم فيقول فيهم:

لَعَمـري لَقَـد عـابوا الخِلافَـةَ إذ طَغَـوا ** وَفـــي يَمَـــنٍ عَبّادَهـــا إذ يُبيـــدُها[١]

([١]) القطامي عمير بن شبيم بن عمرو بن عباد من بني جشم بن بكر التغلبي الملقب بالقطامي، شاعر غزل فحل، كان من نصاري تغلب في العراق، من الطبعة الثانية من الإسلاميين، وأسلم، من آثاره ديوان شعر، توفي نحو ١٣٠هـ. (أنظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ٥٨٦/٢هـ).

([٢]) الأغاني ج٢١، ص١٨ بولاق،والديوان والشعر والشعراء ص ٢٧٧

([٣]) الأخطل هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو التغلبي الملقب بالأخطل (أبو مالك)، نشأ علي المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق ، وكانت إقامته طورا في دمشق مقر خلفاء بني أمية، تهاجي مع جرير والفرزدق، ولد سنة ١٩هـ، وتوفي سنة ٩٠هـ (أنظر الموشح مآخذ العلماء علي الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، للمرزباني، أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، ١٩٦٥م، ص٢١١، ومعجم المؤلفين، مرجع سابق، ٦٠٥/٢.

([٤]) الأغاني ، ص٥٧٨

([٥]) المرجع السابق، ص٢٤٢

([٦]) يزيد بن الملهب بن ابي صفرة الأزدي، أبو خالد، أمير، ولي خرسان، بعد وفاة أبيه سنة ٨٣هـ، فمكث نحو ستا سنين وعزله عبد الملك بن مروان برأي الحاج، ولد سنة ٥٣هـ، وتوفي سنة ١٠٢هـ قتل بين واسط والعراق في مكان يسمى العقر، أنظر: وفيات ألأعيان، لابن خلكان، ج٥/٢٣٣

([٧]) يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد، من ملوك الدولة الأميرية في الشام، ولد في دمشق ٧١هـ، وولي الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١٠هـ، وتوفي سنة ١٠٥هـ، أنظر: النجوم الزاهرة، لابن تغريردي الأتبامي، ج١، ص٢٥٥ ، مرجع سابق، والأعلام ج٨/١٨٥

ويفتخر عمرو بن الأيهم[٢] بإصلاح ما أفسدته الحرب بين القبائل، يفتخر معاوية ابن مالك بدعوته إلي الإسلام في وقت الحرب وقيامه بمهمة سياسية ترأب الصدع بين القبائل وتنهي ما بينها من أحفاد:

بِحَمـــدِ اللَّــــهِ ثُـــمَّ عَطـــاءِ قَـــومٍ ** يَفُكّـــــونَ الغَنـــــائِمَ وَالرِقابـــــا[٣]

وانطلاقا من العقد الفني بين الشاعر وقبيلته، وتأكد للعقد الاجتماعي بينه وبينها تصبح القبيلة كلها موضوعا لفخره يتغني بأمجادها وشرفها ومفاخرها يقول الأخنس:

أري كُــلَ قــومٍ قــارَبوا قَيــدَ فَحلِهِــم ** ونَحــــنُ خَلَعنـــا قَيـــدَهُ فَهـــوَ ســـارِبُ[٤]

ومن منطلق نفسه نرى الشاعر أحيانا يقوم بدور الداعية لقبيلته الذي لا يفتي أن يردد فخره بها، يصور في إحداها صدق عزيمتهم وحسن بلائهم فيها، ويندد بمن نكلوا بهم من القبائل والفرسان:

أمِـــن آل مَـــيٍّ عَرفَـــتَ الـــدَّيارا ** بِحَيــــثُ الشَّــــقيقُ خَــــلاءً قِفـــار[٥]

ويصور في الثانية ما أصاب نساء العدو من ذهول واضطراب ، ثم يصور حال الرجال بين قتيل وجريح وأسير وممنون عليه بالفداء وفي كل هذا يفخر بقومه ويري قبيلته مأوى الصارخ وملجأ المستغيث[٦].

ويفتخر في الثالثة بشجاعته وكرمه وعزته من ناحية وبشجاعة قومه وبأسهم وعزهم[١].

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٨٧

(٢) عمرو بن الأيهم بن الأفلت التغلبي شاعر، من نصاري تغلب في العصر الأول للإسلام، من سكان الجزيرة الفراتية، قيل أسمه عجير كان معاصرا للأخطل، مات الأخطل قبله، توفي نحو ١٠٠هـ ، وشعره مثير، الأعلام خير الدين الزركلي، ج٤، ص٧٤

(٣) المفضلية ١٠٥، ص٣٥٦، الأبيات ١٢-٢٢

(٤)المفضلية ٤١، ص٢٠٣، ألأبيات ٢٥-٢٧

(٥) المفضلية ١٢٤، ص٤١٢

(٦) المفضلية ، ٩٤، ص٣٢٧

ومن هنا يمكن أن نلمس توثيقا لما عرضه التاريخ من أيام العرب يمكن أن ندخلها بسهولة في باب وتظل لها قيمتها التاريخية. ويفتخر بانتصار قومه فيه وهزيمة أعدائهم، وذلك في قصيدته (الأخنس) سائل معدا:

مـــــــــــــن الفــــــــــــــوارس لا ** أوفـــــــوا بجيـــــــرانهم ولا غَنِمُـــــــوا[2]

([1]) المرجع السابق ٩٥، ص٣٢٨

([2]) المرجع السابق، ٥، ص٣٦

المبحث الثالث

المدح

المدح: المديح اسمك مشتق من الفعل الثلاثي مَدَح يَمْدح مدحاً إذا أحسن الثناء عليه أي ضده ذمه، وجمع المديح المدائح والأمدحة أما ديح بمعني ما يمدح به[١].

والمديح هو التغني بريع المزايا، نشأ علي الإعجاب بالفضائل ثم داخله حب التكسب لرغبة العظماء فيه ولحاجة الشعراء إلي النوال[٢].

وقد أكثر المديح في العصر الجاهلي حب التكسب لرغبة الملك والسادة فيه ولحاجة الشعراء إلي الرفعة والمجد والغني فصار وسيلة أو حرفة لتكسب العطايا الجزيلة من الممدوحين وفنا يعني به بلغة التأثير في ذوي السلطان والنوال. [٣]

المديح تحدث بالخصال الطيبة، والخصال الحميدة والمزايا المألوفة، والسجايا المعروفة، التي تنطوي تحت الفضائل العامة والصفات الكريمة للإنسان أن يبلغه من المجد ما يصل إليه من الخير وتسمو له نفسه من السؤدد عن طريق الاكتساب أو الورثة غير أن الأدباء متفقون علي أن الثناء الذي يسنده المتكلم إلي ضميره، أو إلي معشر الذين هم من أصوله أو فروعه، أو ذوي شأنه، من قبيل " الفخر" ولكن الذي يسنده إلي المخاطب أو الغائب من كل ذي مكانة بعيدة، أو منزلة رفيعة أو موهبة بارزة، أو صفة مشكورة أو أثر ظاهر من قبيل المديح[٤]

وكان الجاهليون يمدحون بالمكارم التي يفتخرون بها، والمدح في الجاهلية كان فريقين مديحا للشكر والإعجاب يغلب علي أهل البادية كما نري عند امرئ القيس وعند زهر بن أبي سلمي، ثم مديحا للتكسب يغلب غلي أهل الحضر وساكني أو المترددين علي الحضر، كما نري عند النابغة والأعشي[٥]

---

(١) لسان العرب ابن منظور، مادة مدح، فصل الميم ٥٨٩/٢

(٢) الجاهلية أدب وفن وتاريخ، جورج غريب، ص٧٥-٧٦

(٣) التاريخ الأدبي للعصر الجاهلي والإسلامي، علي محمد حسن، ص٤٩

(٤) بحوث في الأدب الجاهلي، مرجع سابق ص٥٥

(٥) تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، شوقي ضيف ٢١٠/١

وكان عندهم مديح واسع يمتدحون فيه بمناقب قبائلهم وسادتهم، وكانوا كثيرا ما يمدحون القبيلة التي يجدون فيها كرم الجوار متحدثين عن عزتها وأبائها وشجاعة أبنائها وما فيهم من فتك بأعدائهم وإكرام لضيوفهم ورعاية لحقوق جيرانهم[١]

وسبيل الشاعر – إذا مدح ملكا – أن يسلك طريقة الأيضاح والإشادة بذكره للممدوح، وأن يجعل معانيه جزلة وألفاظه نقية غير مبتذلة سوقية ويجتنب مع ذلك التعقيد والتجاوز والتطويل إذا كان الممدوح ملكا لما يبال الشاعر كيف قال فيه ولا كيف أطنب، وذلك محمود، وسواه مذموم.

إن الملوك لا تمدح بما يلزمها فعله كما تمدح العامة إنما تمدح بالإغراق والتفصيل بما لا يتسع غيرهم لبذله.

قول زهير في هرم بن سنان، ولذلك حسن قوله:

هُوَ الجَوادُ الَّذي يُعطيكَ نائِلَهُ ** عَفواً وَيُظلَمُ أحياناً فَيَظَّلِمُ[٢]

وكان الشعراء في مدحهم يؤثرون القصد ويبتعدون عن المبالغة ولعلهم كانوا يشعرون بكرم نفوسهم، فلا يفرقون في تقديس الممدوح ولعل حياة الصحراء الساذجة البسيطة حببت إليهم البساطة في كل شيء[٣]

كانوا يمدحون فلا يبالغون ي رفعة الممدوح وإنما يؤثرون إصابة الصواب ويحفلون للحقائق ككل الأمم البدوية التي لم تتلوث طبائعه أكاذيب المدينة، أنظر إلي ذلك في قول زهير بن أبي سلمي في حصن بن حذيفة:

وَابيَضَ فَيّاضٍ يَداهُ غَمامَةُ ** عَلي مُعتَفيهِ ما تُغِبُّ فواضِلُه

بَكَرتُ عَلَيهِ غُدوَةً فرَأَيتُهُ ** قُعوداً لَدَيهِ بالصَريِمِ عواذِلُه

يُفَدّينَهُ طَوراً وَطَوراً يَلُمنَه ** وَأعيا فَما يَدرينَ أينَ مَختِالُه

فَاقصَرنَ مِنهُ عَن كَريمٍ مُرَزّءٍ ** عَزومٍ عَلي الأمرِ الّذي هُوَ فاعِلُه

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي د. علي الجندي ص ٣٨٢

(٢) العمدة، مصدر لابن رشيق، ج٢، ص١٢٨-١٣٠ ديوان زهير ص٤٥

(٣) تاريخ الأدب العربي للعصرين الجاهلي والإسلامي، ص٤٩

أخـي ثِقَـةٍ لا تُتلِفُ الخَمـرُ مالَـهُ ** وَلكنّـــهُ قَـــد يُهلِـــكُ المـــالَ نائِلُـــه
تَـــراهُ إذا مـــا جِئتَـــهُ مُـــتَهَلِّلاً ** كَأنّـــك تُعطيـــهِ الّـــذي أنـــتَ ســـائِلُه[١]

وقال قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر " لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس لا من طريق ما هم مشتركون فيه من سائر الحيوانات، علي ما عليه أهل الألباب من الاتفاق في هي: العقل والعفة، والعدل والشجاعة، كان القاصد للمدح بهذه الأربعة معيبا وبما سواها مخطئا[٢] فقال زهير:
أخـي ثِقَـةٍ لا تُتلـفُ الخَمـرُ مالَـهُ ** وَلَكِنّـــهُ قَـــد يُهلِـــكُ المـــالَ نائِلُـــه

لأنه قد وصف بالعفة لقلة إمعانه في اللذات وأنه لا ينفذ فيها ماله، بالسخاء لإهلاك ماله في النوال وانحرافه إلي ذلك عن اللذات وذلك هو العقل، ثم قال:
تَـــراهُ إذا مـــا جِئتَـــهُ مـــتَهَلِّلاً ** كَأَنّـــكَ تُعطيـــهِ الّـــذي أنـــتَ ســـائِلُه

أراد أن فرحه بما يعطي أكثر من فرحه بما يأخذ فزاد في وصف السخاء منه. ثم قال:
وَمَن مِثلُ حِصنٍ في الحُروبِ وَمِثلُهُ ** لإنكـــارِ ضَـــيمٍ أو لأمـــرٍ يُحاوِلُـــه

فأتي في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل، فاستوف ضروب المدح الأربعة، التي هي فضائل الإنسان علي الحقيقة[٣].
ومن العيب أن يضع المادح الأوصاف لغير أصحابها والنعوت لغير المستأهلين لها.. وكان العربي إذا مدح لم يتجاوز الصدق، ولم يعد وجه الصواب، ولا يلبس الهر ثوب الفهد، أنت كسب الشعراء بالشعر وجعلوه بضاعة مزجاة، وهنالك تجاوزا الحد وتخطوا المألوف، واللهو الممدوح، وكان ذلك بعد أن صار المديح تجارة

---

(١) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي د.ج هيوارث د ن ص١٠١ ديوان زهير ص٣٠-٣١
(٢) نقد الشعر: قدامة بن جعفر ص٩٦
(٣) العمدة في صناعة الشعر لابن رشيق، ص١٣١ -١٣٢

يبذل لصاحبها العطاء علي قدر ما بذل فيها والأخبار الخداعة، فإن تعطني أفرغ عليك مداحي أو كما يقول المتنبي :

أجِزنــي إذا أُنشِــدتَ شِــعراً فإنّمــا ** بِشِــــعري أتــــاكَ المـــادِحونَ مُــــرَدّدا

وَدَع كُل صَوتٍ غَيرَ صَوتي فإنّني ** أنــا الصــائِحُ المَحكِــيّ والآخَــرُ الصَــدي

وَمــا الــدَهرُ إلا مِــن رُواهِ قلائِــدي ** إذا قُلــتُ شِــعراً أصــبَحَ الــدَهُر مُنشِــداً

إلا أن الشاعر الجاهلي وهو لم يكن يري أن أحدا أعظم منه لم يبالغ في الثناء، ولا ينأ عن الحقيقة في التفريط بل خلط القباء علي جسم صاحبه.

والمديح من الأغراض التي دعت إليها طبيعة الحياة الجاهلية والشعر فيه صورة من صور الرجولة والأباء، والشمم والعزة ، والصراحة، والحق ، والكرامة والواجب، ولا عيب فيه إلا إذا ألمه بالمادح وأحاط به تهمة الاستجداء وشبهة الارتزاق، وهو لا يليق من السوقة للسادة ومن الدهماء للملوك ومن القرآن لنظرائهم، ولكنه لا يليق من الكبير للصغير ولا من العظيم للحقير، إلا إذا كان أعزاء بالفضل وحفزا للمجد ودفعا إلي السؤدد. وتقويما علي الجادة[١]

وأعلام المديح في الجاهلية خمسة: زهير بن أبي سلمى الذي أوقف علي إشراف قومه، والنابغة الذبياني الذي مدح ملوك المناذرة، والغساسنة، وحسان بن ثابت[٢] الذي أختص بمدح الغساسنة والأعشي الأكبر والخطيئة اللذان مدحا كل من جادت يده بطاء وعرفا بشاعري التكسب بلا منازع.

أما زهير فديوانه مملوء بمدح إشراف غطفان وأصحاب الفضل والمعروف وأحسن مديحه وأصدقه في هرم بن سنان[٣] والحارث بن عوف[١] الذين أصلحا ذات البين بين قبيلتي عبس وذبيان.

---

(١) بحوث في الأدب الجاهلي/ ص٥٥-٥٦

(٢) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناه بن عدي بن عمرو بن مالك النجار وأسمه يتم الله بني ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، وإنما سمى العنقاء لطول عنقه وكانوا يسمونه بن معاله ويكني أبا الوليد وهو فحل من فحول الشعراء، وقد قيل أنه اشعر أهل المدر وكان المعمرين المخضرمين عمر مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الإسلام.

(٣) هرم بن سنان بن أبي حارثة المرئي ، من مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، من أجود العرب في الجاهلية كان ممن دخل في الإصلاح ببين عيسي وذبيان، مات قبل الإسلام، في أرض لبني أسد يقال لها (رزاء) وهو متوجه إلي النعمان، توفي نحو ١٥ ق هـ، أ،ظر : الإعلام خير الدين الزركلي، ج٨/٨٢

والمتحاربين من أجل رهان علي سباق بين فرسين اسمهما داحس والغبراء وإلي هذين السيدين يشير زهير في معلقته حين يقول منوها بصنيعهما في تدارك الموقف وتحمل أعباء ديات القتلى من مالهما الخاص وحقن الدماء بإتمام الصلح:

فأقسَمتُ بِالبَيت الّذي طافَ حَولَهُ ** رِجالٌ بَنَوهُ مِن قُرَيشٍ وَجُرهُم

يَميناً لَنِعمَ السَيّدانِ وُجِدتُما ** عَلي كُلّ حالٍ مِن سَحيلٍ وَمُبرِمِ

تَدارَكتُما عَبساً وَذبيانَ بَعدَ ما ** تَفانوا وَدَقّوا بَينَهُم عِطرَ منَشِمِ

وَقَد قُلتُما أن نُدرِكِ السّلْم واسِعا ** بِمالٍ وَمَعروفٍ مِنَ القَولِ نَسْلَمِ

فَأصْبَحتُمَا مِنْهَا عَليَ خَيْرِ مَوطِنِ ** بَعيدَينِ فيهَا مِن عُقُوقٍ وَمَأْثمِ

عَظِيمَيْنِ في عَلْيا مَعَدّ ** وَمَن يَستَبَحُ كَنْزاً مِنَ المَجْدِ يَعْظُمِ(٢)

وأما النابغة، فقد كان شاعر بلاطي الحيرة، الذين قربوه إليهم وأغرقوا عليه العطايا من مال ونياق وله في معلقته أبيات يمتدح فيها النعمان أبا قابوس ابن المنذر الربع ذاكرا فضله ووهبه الواسع:

فَتِلكَ تُبلِغُني النُعمانَ إنّ لَهُ ** فَضلاً عَلي الناسِ في ألأدنى وَفي البَعَدِ

وَلا أري فاعلاً في الناسِ يُشبِهُهُ ** وَلا أُحاشي مِنَ الأقوامِ مِن أحَدِ

أعطي لفارِهَةٍ حُلوٍ تَوابِعُها ** مِنَ المَواهِبِ لا تُعطي عَلي نَكَدِ

الواهِبُ المِئَةَ المَعكاءَ زَيّنَها ** سَعدانُ توضِحَ في أوبارِها اللِبَدِ(٣)

أما حسان فقد مدح الغساسنة القائل في وصف كرمهم وشرف أصلهم ونسبهم

لِلّه دَرُ عِصابَةٍ نادَمتُهُم ** يَوماً بِجِلّقَ في الزَمانِ الأوّلِ

أولادُ جَفنَةَ حَول قَبرِ أبيهِمِ ** َقبرِ ابِنِ مارِيَةَ الكَريمِ المُفضِلِ

---

(١) الحراث بن عوف المري ، قدم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وبعث معه رجلا من الأنصار إلي قومه ليسلموا، فقتل الأنصاري، قال فيه حسان بن ثابت شعرا، أنظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، ص٣٦٠، والأعلام للزركلي ج/ص١٥٧

(٢)شرح المعلقات للزوزوني ص٧٨-٨٩

(٣) ديوان النابغة ص١٢-١٣ الفارهة : المطية الكثيرة العطاء المعكاء: الغلاظ.

بــيض الوُجــوهِ كَريمَــةُ أحســابُهُم ** شُـــمُ الأُنــــوفِ مِـــنَ الطِـــرازِ الأوّلِ

يُغشَــونَ حَتّــى مــا تُهِـرُ كِلابُهُــم ** لا يَســـألونَ عـــنِ السَـــوادِ المُقبِـــلِ[١]

أما الحطيئة[٢] فقد كان مثل الأعشي كسابا مجيدا لفن المديح يمدح من أعطاه ويهجو من خيب سعيه وكان إذا مدح عن طمع رفع ممدوحه وإليه ما قاله في استعطاف عمر بن الخطاب متذرعا بحاجته إلي التكسب لإطلاق سراحه:

مــاذا تَقــولُ لإِفــراخٍ بِــذي مَــرخٍ ** حُمــرِ الحَواصِـلِ لا مــاءُ ولا شَــجَرُ

أَلقَيــتَ كاسِــبِهُم فــي قعـرِ مُظلِمَــةٍ ** فــأغفِر عَليَـكَ سَــلامُ اللَــهِ يــا عُمَــرُ[٣]

والأعشي في مدحه للعظماء يضرح بطلبه العطاء، فمثلا عند ما مدح قيس بن معد يكرب الكندي، وأفاض في الثناء عليه قال:

وَنبئـــتُ قَيســـاً وَلَـــم ابلُـــهُ ** كَمـــا زَعَمـــوا خَيـــرَ أهـــلِ الـــيَمَن

رَفيـــعَ الوِســـادِ طَويـــل النَجـــادِ ** ضَـــخَمَ الدَســـيعَةِ رَحـــبَ العَطَـــن

يَشُـــقُ الأُمـــورَ وَيَجتابُهـــا ** كَشَـــقّ القَـــرارِيّ ثَـــوبَ الـــرَدَن

فَجئتُـــكَ مُرتـــادَ مـــا خَبّـــروا ** وَلَـــولا الـــذي خَبّـــرا لَـــم تَـــرَن

فَـــلا تَحَرمِنـــي نَـــداكَ الجَزيـــلَ ** فـــإنّي امُـــرؤ قَـــبلَكُم لَـــم أُهَـــن

([١]) الأغاني لأبي فرج الاصبهاني ج١٥ ص١٥٧-١٥٨

([٢]) الحطيئة لقب لقب به، وأسمه جرول بن أوس بن مالك بن جؤيه بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عيسي بن يفيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وهو من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصائحهم متصرف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء، والفخر والنسيب، مجيد في ذلك أجمع وكان ذا شر وسفه بونسبه متواقع بين قبائل العرب، وكان ينتمي إلي كل واحدة منها إذا غضب علي الآخرين وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فاسلم ثم ارتد ويكني الخطيئة أبا مليكة وقيل:أن الحطيئة غلب عليه ولقب له لقصره وقربه من الأرض كان ينتمي إلي بني هذل بني ثعلبة ، وأنتسب إلي عدة قبائل منها عبس كان إذا غضب من بني هذل يقول أنا من عبس والعكس وقيل أنه كان يضرب بنسبه أبي بكر بن وائل شعر شاعر الا وجدت فيه مطعنا فيه مطعنا وما اقل ما تجد ذلك في شعره.

([٣]) ديوان الخطيئة ص٢٠٨

وكيفما كان القصد من المديح خالصا في القصيدة القديمة التي تستهل بالغزل ثم تتابع بذكر السفر ووصف الناقة فالانتقال إلي المدح والممدوح ومعاني المدح المترددة علي ألسنة المادحين هي الصفات أو الخصال اتلي يفتخر بها الإنسان البدوي من كرم وعزم وشجاعة، وشرف واصل ورفعة نسب وكل تلك المعاني العظيمة تدبج في أسلوب فخم جزل فيه مبالغة في النعوت وضرب الأمثلة لإقناع وإرضاء الممدوحين واستدرار نعمهم كقول النابغة الذبياني في وصف النعمان بشمس تكشف بضيائها الكواكب والملوك:

فإنّكَ شَمسُ وَالمُلوكُ كَواكِبُ ** إذا طَلَعَت لَم يَبدُ مِنهُنّ كَوكَبُ[1]

معني ذلك إن الاعتزاز نشأ من المديح وفي ظله، وإن كانت تتداخل فيه عاطفة الخوف مع عاطفة الشكر والرجاء ومما ينحو نحو الاعتزاز ما ظهر عندهم من فنون عتاب كان ينشئه بعض الشعراء علامة لما قد يصيبه من أذى الأقارب[2]، وإذا أعتذروا من ذنب أو تنصلوا من هفوة تلطفوا في الدعاء إلي العفو وتقدموا بأدب العتب الممزوج بالخوف من الوعيد والقلق موجده المعتذر إليه[3].

وقد نشأ من المديح الاعتذار كما نجده في شعر النابغة الذي أضطرته وشاية الوشاة أحيانا إلي اللجوء إليه لدرء التهم عنه ومحاولة استرجاع العلاقة الطيبة بينه وبين ممدوحيه وأولياء نعمته ومن أمثلة مزج الاعتذار بالمدح قول النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر بعد ما تناهي إليه خبر لومه كالصاعقة مقسما بغليظ اليمين إن ما أبلغه الواشي إليه عن خيانته ما هو الاغش وكذب وافتراء ونميمة ملفقة لزرع بذور الشقاق بينهما:

أتاني أبَيتَ اللَعن أنّك لِمتَني ** وَتِلكَ الّتي أُهتَمُّ مِنها وَأَنصَبُ

حَلَفتُ فَلَم أترُك لِنَفسِكَ رَيبَة ** وَلَيسَ وَراءَ اللَهِ للمَرءِ مَذهَبُ

لَئِن كُنتَ قَد بُلّغتَ عَني خِيانَةُ ** لَمُبلِغكَ الواشي أغَش وأكذَبُ

---

(1) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص٧ ديوان النابغة ص٢٨

(2) تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ج١، ص٢١١، السباعي بيومي.

(3) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، ص١٠٢ هيوارث د ن مكتبة الثقافة العربية

فإنّــكَ تَــرَ أنّ اللَــهَ أعطــاكَ ســورَةً ** تَـــري كُــــلّ مُلــــك دونَهـــا يتَذَبـــذَبُ

فإنّـــكَ شـــمسُ والمُلـــوكُ كَواكِــبُ ** إذا طَلَعَـــت لَـــم يَبـــدُ مِـــنهُنّ كَوكَـــبُ

فإنــك أكُ مَظلومـــاً فَعَبـــدُ ظَلَمتـــهُ ** وَإن تَـــكُ ذا عُتبـــي فَمِثلـــك يُعتِـــبُ

فالشاعر في مدحه المشوب بالاعتذار ينتصب مثل المحامي اللبق الذي يدافع عن نفسه بالحجج القوية ويستعمل دهاءه وأساليب التذلل والاسترضاء والاعتذار للوصول إلي قلب الملك الغاضب عليه فيؤثره ويعفو عنه وبذلك يكون النابغة قد فتح باعتذارياته باب العتاب السياسي وهو فارس هذه الحلبة الجاهلية[١]

فقد كان الاعتذار قليلا في الشعر الجاهلي ويأتي عادة لإظهار الندم علي فعل حدث أو حال وقعت ويريد المعتذر أن يبرئ نفسه لينجو من اللوم أو يحاول العادي وقد ورد في هذا أبيات لكثير من الشعراء ولكنه لم يحتل مكانا هاما في شعر كل منهم[٢] ويقول ابن رشيق في عمدته: " ينبغي للشاعر إن لا يقول شيئا يحتاج إلي أن يعتذر منه فإن اضطره المقدار إلي ذلك وأوقعه في القضاء فليذهب مذهبا لطيفا ليقصد مقصدا عجيبا ليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه وكيف يسمح إعطافه ويستجلب رضاه فإن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ الملوك ذوي السلطان، وحقه أن يلطف برهانه مدمجا في التضرع والدخول تحت عفو الملك وإعادة النظر في الكشف عن كذب الناقل. ولا يعترف بما لم يجفه خوف تكذيب سلطانه أو رئيسه ويحيل الكذب علي الناقل، فأما مع الأخوان فتلك طريقة أخرى[٣].

---

(١) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي/ ص٧٢-٧٣ ديوان النابغة ص٣٧-٣٨

(٢) ينظر في تاريخ الأدب الجاهلي، ص٤٠٥

(٣) العمدة في صناعة الشعر لابن رشيق القيرواني، ص١٧٦

المبحث الرابع

الرثاء

الرثاء في اللغة مصدر الناقص اليائي رثى يرثي رثاية ورثاء ومرثاة ومرثية (وجمعها مراثِ) الميت إذا أبكاه وعدد محاسنه وفي الاصطلاح مدح الميت، أسوة بمدح الحي في المديح وتعداد خصائله وإظهار اللوعة والحزن عليه[١] وهو أن يندب الميت ومعناه التوجع[٢]

الرثاء من الفنون التي وجد فيها الشعراء لأنه تعبير عن خلجات قلب حزين، وفيه لوعة صادقة وحسرات مرة، ولذلك فهو من الموضوعات القريبة إلي النفس، لأن الرثاء الصادق تعبير مباشر قلما تشوبه الصنعة أو التكلف، والحياة الجاهلية حياة حرب ودماء وغارات يسقط إثرها القتلي فيبكي الأهل والأصحاب قتلاهم، ويثيرون ببكائهم دموع قبائلهم ويؤججون أحزانهم فيدفعونها لشحذ سيوفهم استعدادا لجولة جديدة تطفي نار غيظهم وتشفي أحقادهم بالفوز بثأرهم والظفر برؤوس أعدائهم[٣].

الحروب الكثيرة والغارات المتوالية، أكثرت من قتلاهم، فكان من ذلك فن الرثاء ، وربما كان الغض من بعض الأحاديث إثارة القبيلة لتأخذ بالثأر، فإن كان الراثي امرأة ظهر الحزن والتفجع في رثائها ولعل أكمل مثل لذلك الخنساء في رثائها لأخيها صخر، وربما رثاء الشاعر نفسه قبل موته، ولكن ذلك قليل الرثاء، وأكثر فنون الشعر للتهويل والتضخيم، كما نراه في عصرنا وفي عصور المبالغات وجموح الخيال ولكن الرثاء في العصر الجاهلي يمتاز بالصدق والقرب من الواقع فإذا كان المرثي بطلا كان أكثر ما يردد في رثائه وصفه بالشجاعة، والثبات في القتال إذا كان المرثي جواد شاع في المرتبة الوصف بالجود وكثر البذل وهكذا[٤] يرثون فلا يعمون إن النشاء قد وقعت علي الأرض وإن الأفلاك تحيرت في مدارجها وإنما يبكون المرثي صبره علي المكروه ووفائه في الملمات وحفظه للعواقب[٥]

---

(١) المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص٧٣-٧٤

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة رثاء ، ج٥، ص١٣٨ ، بيروت – لبنان

(٣) الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، ص٣١١ ، يحي الجبوري مؤسسة الديالة ط٤ ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م بيروت – لبنان.

(٤) تاريخ الأدب للعصرين الجاهلي والإسلامي الأول ، ص٥٢-٥٣

(٥) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي/ ص١٠٢ – هيوراث د ن. مكتبة الثقافة العربية

والرثاء من الأغراض الشعرية التي يهتمون بها اهتماما بالغا ويعتنون بها عناية عظمي وقد أخذ من فراغهم وتفكيرهم الكثير ونقل لينا منه القدر الوافر وأتسع الخوض فيه، والحديث بصورة رائعة من البلاغة، وأساليب متنوعة من الخيال، لأنه مظهر من مظاهر فجيعهم، في أصفيائهم الذين فقدوهم، وإخوانهم الذين فارقوهم أو أهلهم الذين هجروهم، وهو المديح والفخر، وتبرز فيه صفات الشخص، وتبدو فيه ملامح الإنسان، وتتزاحم فيه المزايا التي تدل علي فداحة المصاب، وعظم الفجيعة، وهول النازلة، وضخامة الكارثة، وفرق بينه بين المديح إن المديح ذكر محاسن الأحياء أما هو فإنه ذكر لمحاسن الأموات

مما كان معروفا في الأغراض الأخرى إقحامهم الغزل فيها، واستفتاحه بها، وتناولها لجملة من المعاني، لكن الرثاء لا يكون فيه إلا التفجع والحسرة، والتلهف ، والأسي واستشعار الجوع إذا كان الميت من ذوي الرياسة والأقدار – وهو عند العرب وقبل الإسلام – ذو شان كبير لما كان عندهم من حروب ذات بال لا تزال تفتك بالشجعان، وقد شاركت فيه المرأة أكثر مما شاركت في غيره من أغراض الشعر لأنها اشجي قلبا وأشد جزعا، وأكثر لوعة، وأغزر دموعا، وأحر كيداً[١]

المرأة تنوح ويرد عليها صواحبها، وقد حدثنا الرواة إن الخنساء كانت تخرج إلي عكاظ فتندب أخويها وكانت هند بنت عتبة أم معاوية تحكياه نائحة أباها[٢]

والرثاء بصفة عامة مجال فسيح بدت فيه عواطف المرأة وذرفت دموعها، وأعلنت آهاتها ونواحها فإذا كانت شاعرة صاغت هذه العواطف في شعر يصور لوعتها وحرقتها[٣]

وكان الحزن يبدو عليهم واضحا حينما يفقدون عزيزا – وكل أفراد العشيرة عزيز – فتتحرك الشاعرية، وتعبر عن الأسي الذي عمهم والخسارة الفادحة التي نزلت بهم وبغيرهم ممن كان الفقيد ملاذ لهم[٤]، وكثيرا ما تداخله الحكمة وذكر

---

(١) بحوث في الأدب الجاهلي ، ص٥٨-٥٩

(٢) تاريخ الأدب العربي ، شوق ضيف، ج١ ص٢٠٧

(٣) الأصول الفنية لشعر الجاهلي ، ص٥٧ سعد إسماعيل شلبي ، مكتبة غريب

(٤) في تاريخ الأدب الجاهلي، ص٣٩٤

حوادث الأيام[١] وكان من عادة القدماء فيه، إن يضربوا الأمثال بمن سلف من الأنبياء والملوك والأمراء والعظماء[٢]، ومن أبرز الرثائيين في الجاهلية لخنساء[٣]، ومهلهل بن ربيعة[٤].

ودريد بن الصمة[٥]

يقول ابن رشيق(سبيل الرثاء ان يكون ظاهر التفجع، يبين الحسرة، مخلوطا بالتلهف الأسف ولاستعظام، إن كان الميت ملكا أو رئيسا كبيرا)، كما قال النابغة في حصن بن حذيفة:

يَقولـونَ حِصـنُ ثُـمّ تـأبي نُفوسُـهُم ** وَكَيـــفَ بِحِصـــنٍ وَالجِبـــالُ جُمـــوحُ

وَلَـم تَلفِـظِ المَـوتى القُبـورُ وَلَـم تَـزَل ** نُجـــومُ السَـــماءِ وَالأديـــمُ صَـــحيحُ

فهمـــا قليـــل ثـــم جـــاء نعيـــه ** فظـــل لـــذي الحـــي وهـــو ينـــوح[٦]

---

(١) الجاهلية فن وأدب وتاريخ، ص٧٦

(٢) تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، السباعي بيومي ج١/ ص١١٥

(٣) الخناس: هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد- الرياحية، السلمية، من بني سليم، من قيس عيلان، من مضر أشهر شواعر العرب، من أهل نجد عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي وأدركت الإسلام فاسلمت، ووفدت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بني سليم .أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها (صخر ومعاوية) وكانا قد قتلا في الجاهلية، لها ديوان شعر، توفيت ٢هـ أنظر الأعلام للزركلي، ج٢، ص٨٦

(٤) مهلهل بن ربيعة: هو عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة من بني جشم، من تغلب/ من أهل نجد وهو خال امرئي القيس الشاعر، توفي نحو ١٠٠ ق هـ ، انظر

(٥) دريد بن الصمة: هو دريد بن الصمة الجشمي البكري، من هوازن، كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، أدرك الإسلام ولم يسلم، قتل علي دين الجاهلية يوم حنين سنة ٨هـ، أنظر : الأعلام للزركلي، ج٢، ص٣٣٩

(٦) العمدة لابن رئيق، ج٢/ص١٤٧

وللرثاء ثلاثة وجوه: عزاء – وندب وتأبين

١/ العزاء:

يتجه إلي التفكير في رحلة لحياة ومصير الناس وحتمية الأقدار ونزول البلاء وضعف الإنسان أمام نوازل الدهر ومصائب الزمان، فيلتمس في كل ذلك السلوة والصبر والرضا بما نزل به والاستسلام للقدر. وقد عبرت الخنساء عنه تعذبها بكثرة من نكبوا بأهلهم وكثرة الباكين حولها تقول:

وَلَولا كَثرَةُ الباكينَ حَولي ** عَلي إخوانِهِم لَقَتَلتُ نفسي

وَلَكِن لا زالُ أري عَجولاً ** وبَاكيَةً تَنوحُ لِيَومِ نَحسِ

أراها والِهاً تَبكي أخاها ** عَشِيَّةَ رُزئِهِ أو غِبَّ أمسِ

وَما يبَكونَ مِثلَ أخي وَلكِن ** أُعِزّي النَفسَ عَنهُ بِالتَأسّي[١]

٢/ الندب :

بكاء ونواح وعويل علي الميت بألفاظ مؤلمة حزينة تستمطر الدموع من العيون، وكان النساء يجتمعن في مناحة صاخبة يصحب ذلك لطم الوجوه والصدور بالأكف أو قطع الجلود أو النعال فقد نهي الإسلام عن ذلك وجاء في قول رسول الله ﷺ[٢] (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوة الجاهلية) [٣].

ومن الندب ما أشتهرت به الخنساء[٤] التي يروي أنها كانت تخرج إلي عكاظ وتبكي وتندب ندبا حارا أخويها معاوية وصخر المقتولين من أيام الجاهلية وشعرها كله في رثاء أخويها علي شاكلة قولها في ندب أخيها صخر:

يا عَينِ جودي بِدَمعٍ مِنكِ تَهمالِ ** وَعَبرَةٍ بِنَحيبٍ بَعدَ إعوالِ

---

(١) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٣١٤، ديوان الخنساء ، ص٨٤-٨٥

(٢) عن مسروق عن عبد الله عن النبي صلي الله عليه وسلم قال الترمذي هذا حديث صحيح حسن من حديث عبد الله أخرجه الترمذي في سننه كتاب الجنائز، باب ما جاء في نهي عن ضرب الخدود وشق الجيوب عند المصيبة ج٣/٣/٣٢٤ دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان.

(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٣١١

(٤) الخنساء: هي بنت عمر بن الحارث بن الرشيد بن رباح بن يقظة بن عصية ابن خفاف بن امرئ القيس بن بهتة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر واسمها تماضر والخنساء لقلب غلب عليها فقد خطبها دريد بن الصمة فردته، معظم شعرها رثاء في مقتل أخيها صخر قتله زيد بن نور الأسدي يوم ذي الأثل.

لا تَسـأمي أن تَجـودي غَيـرَ خاذِلـةٍ ** فَيضـاً كَفَـيضِ غُـروبٍ ذاتِ أوشـالِ

وَأبكي لِصَخرٍ طِوالَ الدَهرِ وَأنتَحِبي ** حَتّـى تَحُلّـي ضَـريحاً بَـينَ أجبـالِ

يا لَهفَ نَفسي عَلي صَخرٍ وَقَد لَهِفَت ** نَفســي إذا أَلتَـفَّ أبطـالُ بِأبطـالِ(١)

٣/ التأبين :

يتخذ شكل الثناء الميت أو قد يكون ذلك عن زارتهم للقبور أو اجتماعاتهم في مجلس يعقد لذكري الفقيد، وكثيرا ما يتحلون الميت جميع الفضائل والمثل العليا، الخنساء نجدها تبكي في أخيها كل المثل العليا والفضائل ومن شواهد التأبين قول أوس بن حجر في رثاء بن كلدة الأسدي:

أيَّتُهـا النَفسُ أجمِلـي جَزَعـا ** إنَّ الَّـذي تَحـذَرينَ قَـد وَقَعـا

إنَّ الـذي جَمَّـعَ السَـماحَةَ وَالنَجـدَةَ ** وَالحَـزمَ وَالقُـوى جُمَعـا(٢)

وقد كان الرجل في الجاهلية يأتي أفعالا تشبه ما تأتيه المرأة من أفعال الجزع والهلع من ذلك أنه كان يعقر الإبل علي قبر من يحب إكراما له وتحية لمثواه(٣) وكان ممن عقرت الإبل علي قبره، ربيعة بن مكدم(٤)، وقال الشاعر الذي عقر ناقته علي قبر النجاشي(٥)

عقـرت علـي قبـر النجاشـيّ نـاقتي ** بـأبيض عضـب أخلصـتهُ صـاقلة(٦)

---

(١) المفيد الغالي للأدب الجاهلي، ص٧٤، ديوان الخنساء، ص١٥٩

(٢) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٣١٣ – ٣١٤ ، ديوان أوس بن حجر ص٥٣

(٣) العقد الفريد ج١/ ص١١٦

(٤)ربيعة بن مكرم بن عامر بن حرثان من بني كنانة، أحد فرسان مصر المعدودين في الجاهلية، له أخبار أشرها حمايته الظعن بعد مقتله، ولا يعلم قتيل حمي الظعن توفي نحو ٦٢ق.هـ.

(٥) النجاشي : وأسمه أصحمه ملك الحبشة، معدود في لصحابة وكان من حسن إسلامه ولم يهاجر ، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صاحب من وجه، وقد توفي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فصلى عليه بالناس صلاة علي غائب سواه، وأصحمه بالعربي معناها عطية، توفي سنة ٩هـ. (أنظر سير أعلام النبلاء، للذهبي، أشرف علي تحقيق الكتاب شعيب الارناؤوط، حقق هذا الجزء حسين الأسد، ط٧، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٠، ج١، ص٤٨٢

(٦) الكامل ج٣/ ص١٢٥٠

وقد لاحظوا في قصائد الرثاء إنها قلما تبدأ بالغزل، بل يشينها إن تبدأ به، فمواضع الحزن لا يليق بها التفكير بالمرأة والتشبيب بها، يقول ابن رشيق:(وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيبا كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء، وقال ابن الكلبي – وكان علامة – لا أعلم مرثية أولها نسيب إلا قصيدة دريد بن الصمة

أَرَثَّ جَديــدُ الحَبــلِ مِــن أُمِّ مَعبَــدِ ** بِعاقَبِــــهِ وَأَخلَفَــــت كُـــلَّ مَوعِــــدِ[١]

وكثيرا ما يكون حديث الشاعر مع المرأة في القصيدة وسيلة إلي ذكر الميت، وأنه لا يعنيه فراقها وصرمها، فقد شغله أمر مفجع وخطب شديد، كما فعل متمم بن نويرة[٢]، الذي لا يبالي بفراق حبيبته، بل قد سعي إلي ذلك الفراق، يقول:

صَـرَمَت زُنيبَـةُ حبـلَ مـن لا يَنقطَـع ** حبــلَ الخليــلِ وللأمانـــةِ تفجَــعُ[٣]

والرثاء حزن وبكاء ولوعة وتفجع، ولذلك كان طبيعيا أن يكثر في هذا الشعر الحديث عن العين والدموع وغزارتها وحرقة العين وإباءها الغمض والنوم، فمتمم بن نويرة يصور غزارة دموعه بأن عينيه كأنهما دلو ممزق تجري مياهه فتروي الديار والزروع[٤]، وهذه الصورة

– صورة القرية الممزقة – ترد في شعر أبي ذؤيب الهذلي[٥] والخنساء[٦]، ويقول عدي بن زيد العبادي[٧] في رثاء نفسه:

ومــــــالي نصــــــر إلا نســــــاء ** أرامِــلُ قَــد هَلَكــنَ مِــن النَحيــبِ

يحــــدرنُ الــــدموعَ علــــي عَــــدِيّ ** كشــــنّ خانَــــهُ خَــــرزُ الرَبيــــب[١]

([١]) العمدة ج٢/ص١٥١ والشعر في الأصمعيات ص١٠٦-١٠٨

([٢]) متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي، التيمي، أبو نهشل، صحابي، شاعر، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم علي صدقة بن يربوع، لم يختلف في إسلامه، وكان شاعرا محسنا ليس لأحد في المراثي كأشعاره التي يرثي بها أخاه مالكا، قال الزركلي: سكن المدينة في أيام عمر. توفي نحو ٣٠هـ. (الاستيعاب، لابن عبد البر، ج٤/ص١٨، والأعلام، للزركلي)

([٣]) المفضليات ص٤٨-٤٩ وشعر مالك ومتمم ص٩٣

([٤]) المفضليات ص٢٧١ وشعر مالك ومتمم ص١٠٢

([٥]) أبو ذؤيب الهذلي هو خويلد بن خالد الهذلي، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، سكن المدينة، من آثاره ديوان شعر، توفي نحو ٢٧هـ. (أنظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج١/ص٦٩٢)

([٦]) ديوان الخنساء ص٢٥

([٧]) عدي بن زيد بن حماد العبادي التميمي، شاعر من أهل الحيرة، أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، سكن المدائن، ولما مات كسرى أنشوروان ولي ابنه هرمز. تزوج هند بنت النعمان بن المنذر، ووشى به أعداء له إلي النعمان، فسجنه وقلته في سجنه بالحيرة ٣٥ق.هـ، من اثاره ديوان شعر. (الأعلام، للزركلي، ج٤/ ص٢٢٠

المبحث الخامس

الهجاء

الهجاء: الهجاء مصدر الناقص هَجَأ يَهْجو هَجْواً وهِجاءً وتَهْجَاءً فلانا أو عدد معايبه ووقع فيه وشتمه، فالهجاء إذن عكس المدح. معناه: التشهير بالرذائل وفضح معايب الفرد والجماعة ويعد من الأغراض الرئيسية في الشعر الجاهلي(٢) الهجاء هو كل ما كنت فيه فأنقطع عنك(٣).

كان الهجاء علي عكس الفخر، يعددون فيه ما في تاريخهم من مآخذ وماحل بهم من خسائر أو عار، ويرمونهم بأقيم العادات، وذميم الصفات، وقد كان الهجاء يوجه إلي الأعداء في معرض الفخر، أو في ثنايا المدح، لأن في تحقير الأعداء والحط من شأنهم رفعة للمفتخر أو الممدوح(٤)

ودار هجاؤهم علي كل ما ينقص مُثَلهم التي صورناها في غير هذا الموضع، وقد قلنا إنه كانت تجمعها كلمة المروءة وهي عندهم فضائل من الشجاعة والكرم وحماية الجار والوفاء والنجدة وطلب الثأر وما هي إلا أن يدخل الشاعر في الهجاء فإذا هو يخلص القبيلة وإشرافها من كل هذه الفضائل وما يتصل بها فهي لا تكرم الجار ولا تحميه، وهي تفتر من الحروب وتعجز عن الأخذ بثأرها ولا يكتفي الشعراء الهجاءون بذلك بل يتعرضون لمخازي القبيلة في حروبها وأيامها التي ولت علي أدبارها فيها منهزمة منكسة الأعلام كذلك الهجاء كان نزعا لتلك الصفات(٥) الحميدة عندهم عن المهجو ووصفه بأضدادها، وكان الجاهلي يهجو بالعيوب النفسية الخلقية ولم يهتم بالعيوب الجسمية الخلقية.

والهجاء بدوره كان فرقتين أيضا: هجاء قبليا، وهو الأشهر والأكثر، ثم هجاء شخصا في الأقل.

---

(١) ديوان عدي ص٤٠

(٢) المفيد الغلي في الأدب الجاهلي، ص٨٢

(٣) لسان العرب، لابن منظور، مادة هجيس ج٥/ص٢٨

(٤) في تاريخ ألأدب الجاهلي، علي الجندي، ص٣٧٣ دار الفكر العربي، القاهرة

(٥) تاريخ ألأدب العربي ، عمر فروخ، ج١٠ ص٨٣

وإن الحياة القبيلة كانت تستبح أن يكون الهجاء – أو العداوة التي تقتضي الهجاء قبليا – ولكن لم يكن ثمة من مفر من أن يخاطب الشاعر القبيلة المهجوة بالتوجه بالكلام إلي شاعرها ألم يكن الشاعر هو الرافع لشأن القبيلة وممثلها[1] كان قبلي النزعة في الجاهلية ثم اتجه اتجاها فرديا وبات مع الخطيئة أداة للتكسب ولعل هذا الشاعر أشهر هجائي العرب في الجاهلية والإسلام[2]

فقد كان الهجاء تعبيرا عن عاطفة السخط والغضب تجاه شخص تبغضه أو جماعة تنتقم منها.

والهاجي ينفس بأهاجيه عما يلح في صدره من ضغائن وأحقاد، لذلك كان سلاحا من أسلحة القتال، يضعف الشاعرية معنوية خصومه ويرتبط بالوعيد والانتقاص من أقدار الخصوم والبحث عن معايبهم.

والهجاء طبيعة في النفس الإنسانية، جاء نتيجة تفاوت الناس في حظوظهم من الذوق والجمال والجاه والسلطان، والمنافسة عادة هي التي تدفع الناس إلي الهجاء والتعبير عن شعورهم بالسخط تجاه الخصوم، وقد كان الهجاء قديما أثرا من آثار حب الانتقام والتشفي والثأر [3]

وقد كان هم الشعراء الانتقاص من خصومهم كما ذكرنا واضحاك الناس منهم ولذلك كان جرير من أعلام الهجاء[4]وقد عزا العرب القدامى الأثر الذي يتركه الهجاء في النفوس إلي فعل السحر، للرهبة التي يتركها الهجاء والسحر في النفوس[5]

وكان خوفهم من الهجاء وأثره في نفوسهم أنهم إذا هجاهم شاعر بسوءة فإنهم يتوارون منها خجلا، لأنها تلازمهم وتلصق بسمعتهم، وكان إشراف الناس ووجوه القوم وذو المكانة فيهم من القادة والرؤساء هم اشد الناس خوفا من الهجاء ولذلك يتصدى شعراء الهجاء لذوي الشرف والمكانة من الناس[6] كانت العرب تبكي

---

(1) تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج١٠ ص٨٣

(2) الجاهلية فن وأدب وتاريخ، ص٧٦، جورج غريب، سلسلة الموسوعة، الأدب العربي، دار الثقافة ، بيروت – لبنان

(3) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٣٣٩

(4) المرجع السابق، ص٢٤٠

(5) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص٣٤٢

(6) المرجع السابق ، ص٣٤٧

بالدموع الغزار من وقع الهجاء وتفضل طعن القنا علي بأيدي وعلي هذا كان الهجاء في يد كالسيف القاطع لا يقل أهمية عن الأسلحة القتالية المعهودة وضرباته أشد وقعا ونيلا من معنويات العدو للخطيئة هجا ساخر لم يسلم منه أحد. وقد تضافرت أسباب كثيرة في مجيئه إليه وأهمها تقلب أحواله وميله إلي مخالفة الناس في كل شكل واسترزاقه بالشعر وهجاؤه المبثوث في ديوانه ينقسم إلي قسمين قسم تكسّب به وتشفي فيه من أعدائه وعلي رأسهم الزبرقان[1]، وقسم عبّر عن نقمته واستخفافه بأهله وقومه.

فمن الأشعار التي هجا بها الزبرقان قوله:

دَعِ المَكارِمَ لا تَرحَل لبِغُيَتِها ** وَأَقعُد فَإِنَّك أنتَ الطاعِمُ الكاسي

(1) الزبرقان بن بدر التميمي، يكني أبا عياش، وفد علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في قومه في سنة ٩هـ، فولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات قومه، توفي نحو ٤٥هـ. (أنظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي ، تحقيق الشيخ علي محمد معوض ، ط١، بيروت، دار لكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ج٢ ص١٢٩ ، والأعلام، للزركلي ، ج٣/ص٤١

المبحث السادس

الحكمة

الحكمة جمعها حكم مصدر الفعل الثلاثي حكم يحكم المرء إذا صار حكيما عليما بالأمور وهي تصدر إما عن تأمل وتفكير، إما عن اختيار للحياة والدنيا كما هو الشأن في الجاهليين(1).

والحكمة هي المواعظ والأمثال التي ينتفع الناس بها(2)

ويقصد بالحكمة القصد والصواب وإصابة الهدف ووضع الأشياء في موضعها والاعتدال في الرأي والبعد بالعواقب، والاتزام في السلوك والحكيم من الناس الذي تكامل عقله، ونضج تفكيره، وتم رشده، ثقل ميزانه وبعد نظرة فلا تنزلق به رجله.

الحكمة علي هذا كلمة جامعة تتناول الصواب والصدق والقصد والاعتدال وحسن الدخول في الأمر والخروج وفي القاموس الحكمة العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن وأحكمه وأتقنه ومنعه من الفساد إلا أنّ الأدباء يقصدون بالحكمة القول الرائع الذي يصيب به صاحبه كبد الحقيقة، بعبارة موجزة قد اكتسبت من البلاغة ثوبا جميلا وصادفت من القول رغبة حارة من الذيوع ما تصادفه شمس النهار بنورها الساطع، والحكمة علي العموم صورة من صور العقلية الأدمية في رقيها وتقدمها وحضارتها وفلسفتها في الحياة وفهمها للأشياء، أما الأخلاق فهي صورة من صور الحكمة، يقصد بها الإرشاد والتَّهذيب والنّصح(3).

والحكمة عند شعراء الجاهلية آراء يوجب بها التأمل والتفكير وأشهر من عالجها زهير بن أبي سلمى ولبيد بن ربيعة وطرفة بن العبد وأمية ابن أبي الصلت وآخرون(4).

وقد شاعت الحكمة في أشعارهم وهي حكمة أدركوها من تجاربهم الطويلة، لا أثر فيها لفلسفة ولا نسب يصلها بثقافة ولا شك في ذلك، لأننا لا نعرف من هؤلاء

---

(1) المفيد الغالي للأدب الجاهلي، ص٩٠

(2) لسان العرب لابن منظور فلص الحاء المهملة، مادة حكم ج١٢ ص١٤١

(3) بحوث في ألأدب الجاهلي، ص٦٩-٧١ إبراهيم أبو الخشب أحمد وعبد المنعم البهي ط١، ١٩٦١ م

(4) الجاهلية تاريخ وأدن وفن، ص٧٦ جورج غريب ، سلسلة الموسوعة في ألأدب العربي، دار الثقافة بيروت

الذين جرت الحكمة علي ألسنتهم رجلا جلس إلي معلم، وأخذ علمه عن كتاب ولذلك جاءت حكمتهم فطرية، وسجلت ما رأوه بأعينهم من تصرفات الحياة إلي دار أخرى واستهانة المجتمع الجاهلي بمن لا يدافع عن نفسه وحماية المعروف وأشياء كثيرة كهذه المعاني، كل ذلك كان من تجاربهم(١).

ولا أزعم أنها فلسفة ذات أصول أو تفكير منظم وفق علم مدروس بل هي الإحساس الذاتي والتأثير أقرب منها إلي التفكير العلمي، فهي نظرات وانطباعات وتأمل في الحياة والموت، ومجالات لسنن ونظم خلقية يتبعها الناس فيما يرضونه من خصال وسلوك، أو ما ينكرونه من أفعال وعادات، ولذلك جاءت حكمتهم حقائق مجردة في متناول الفطرة السليمة تمليها التجربة والمشاهدة وفق مثلهم العليا السائدة في عصرهم، وكانت أفكارهم صدى لهذه التأملات والمشاهدات، تصاغ في بيت شعر أو مثل أو عبارة أنيقة موجزة غزيرة المعني ذات دلالات بعيدة تقع من النفس موقعها الأثير، فيقبل عليها السامعون ويرونها ويحفظونها، وتغدو أمثالا تجري علي الألسنة علي مر العصور، وقد وجدوا لها في أنفسهم أصداء.

قد عرفت الحياة الجاهلية كثيرا من الحكماء ذاع صيتهم وعرفت حكمتهم مثل قس بن ساعدة(٢) وقصي بن كليب(٣)، لقمان بن عاد(٤) وآخرون(٥).

وقد أشتملت معلقة طرفة علي فلسفة في الوجود الداعية إلي التمتع باللذات والحياة قبل فناء الجسم بالموت المحتوم وفوات الأوان يقول الشاعر فيها:

ألا أيُّهَـذا اللائِمــي أحضُــرَ الــوَغي ** وَأن أشــهَدَ اللَّــذّاتِ هَـل أنــتَ مُخلِـدي

فـإِن كُنـتَ لا تَسـتطيعُ دَفـعَ مَنيّتـي ** فَــدَعني أُبادرهــا بمــا مَلَكَــت يَــدي

---

(١) التاريخ الأدبي للعصرين الجاهلي والإسلامي، الأول ص٥٤

(٢)قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إياد، كان أسقف نجران، أول عربي خطب متوكئا عل سيف أو عصا، أول من قال في كلامه: أما بعد، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، ورآه في عكاظ، وتفي نحو ٢٣هـ.هـ. (أنظر الأعلام ، للزركلي، ١٩٦/٥)

(٣)قصي بن كلاب بن مرة كعب بن لؤي، سيد قريش في عصره، هو أول من كان له ملك من بني كنانة، وهو الأب الخامس في سلسلة النسب النبوي، مات أبوه وهو طفل، كانت له الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء مات بمكة. (أنظر الأعلام للزركلي، ج٥/ص١٩٨)

(٤)لقمان بن عاد بن ملطاط من بني وائل، من حمير، معمر جاهلي قديم، من ملوك حمير في اليمن، يلقب بالرائش الأكبر ، وهو غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن، (أنظر الأعلام للزركلي، ٣٤٣/٥)

(٥)

أري المَوتَ يَعتـامُ الكِرامَ وَيَصـطَفي ** عَقيلَـــةَ مـــالِ الفـــاحِشِ المُتشَـــدَّد

أري العَـيشَ كَنـزاً ناقِصـاً كُـلَّ لَيلَـةٍ ** وَمـــا تَـــنقُصِ الأيّـــامُ وَالـــدَهرُ يَنفَـــد

لَعَمـرُك إنَّ المَـوتَ مـا أخطَـأ الفتـي ** لَكَـــالطِوَلِ المُرخـــي وَثنيـــاهُ بِاليَـــدِ

وَظُلْـمُ ذَوي القُربـى أَشَـدُ مَضاضَـة ** عَلـي المَـرءِ مِـن وقَـعِ الحُسـامِ المُهَنَّـد

سَتُبدي لَـكَ ألأيّـامُ مـا كُنـتَ جـاهِلاً ** وَيَأتيـكَ بِالأخبـارِ مَـن لَـم تُـزَوِّدِ[١]

تكثر الحكمة عند علقمة[٢] قوله فيما تطلبه المرأة من الرجل لتمنحه ودها وتصد عنه إذا ما شاب أو قل المال في يده:

فَـــإِن تَســـألوني بالنِســـاءِ فـــإنّني ** بَصـــيرُ بـــأدواءِ النِســـاءِ طَبيـــبُ

إذا شـابَ رَأسُ المَـرءِ أو قـلَّ مالُـهُ ** فَلَـــيسَ لَـــهُ مِـــن وُدَّهِـــنَّ نَصـــيبُ

يُـــرِدنَ ثـــراءَ المـــالِ حَيـــثُ عَلِمنَـــهُ ** وَشـرخُ الشَـبابِ عِنـدَهُنَّ عَجيـبُ[٣][٤]

تلك هي الموضوعات الأساسية التي تنظم منه القصيدة الجاهلية فالشاعر يبدؤها بالأطلال والديار ويصف أثناء ذلك حبه، ثم يصف رحلته في الصحراء، وهي أول ما يقدمه للمرأة من ضروب جرأته، حينئذ يصف نافته أو فرسه، وقد يؤخرها إلي نهاية القصيدة ويقدم عليها غرضه ناثرا حكمه وتجاربه.

---

(١) المفيد الغالي في ألأدب الجاهلي، ص٩٢ ديوان طرافة بن العبد، ص٢٧-٤٤

(٢) علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس، من بني تميم، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولي، كان معاصراً لأمرئي القيس، وله معه مساجلات، أسر الحارث بن أبي شمر الغساني، أخا له أممه شاس فشفع به علقمة ومدح بأبيات فأطلقه، له ديوان شعر شرحه الأعلم الشنتمري، توفي نحو ٢٠ ق.ﻫ (أنظر الأعلام، للزركلي، ج٤/ص٢٤٧)

(٣) المفيد الغالي في ألأدب الجاهلي، ص٩٢ ديوان طرفة بن العبد ٢٧-٤٤

(٤) هو علقمة بن عبده بفتح الباء، بن النعمان بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة الجوع بن مالك بن زيد مناه بن تميم بن مر بن أدين طانجة بن الياس بن مضر، شاعر جاهلي مجيد، كان من صور الجاهلية وفحولها، له ثلاث روائع جياد لا يفوقهن شعر.

ملخص البحث

نلخص من كل ما جاء في هذا البحث إلي نتائج ودلالات تعبر عن بعض القضايا الهامة في بنية القصيدة وما يتعلق بها، أولي هذه الدلالات هي أن الشعر الجاهلي وليد بيئته، وهو صورة صادقة لحياة الجاهلية من حيث المجتمع والعادات والتراث أن البيئة كانت الباعث علي ما تجده من كثرة التتابع بين بكاء الأطلال والغزل والوصف والأغراض الأخرى لأن الصحراء هي التي أوحت للشاعر بأسلوب القصيدة وموضوعاتها المختلفة فهو يمر علي ديار الأحبة بعد رحيلهم، فتذكره أيام أنسه وتهيج أثارها شعوره فيبكي علي الأطلال ثم يمضي في رحلته معتمدا علي ناقته فيصفها في خبرة وإعجاب ثم يشبهها بحيوان آخر فيستغرق في وصفه ويتخيل لبعض الدارسين أن هذا الاستغراق شرود وانقطاع عن الفكرة الأولي والحق أنه ليس كذلك، إنما هو ضرب من الافتنان في الوصف وهو أقرب أجزاء القصيدة إلي اذلوق العربي.

دلالة أخرى يمكن أن نخلص إليها أن القصيدة طيعة للتعبير عن كل الأغراض بداءا بالبكاء علي الأطلال ذلك الغرض الذي صار موضوعا تقليديا، لا غني عنه في استفتاح القصائد مطية للتدرج إلي الموضوعات الأخرى.

وقيمة القصيدة الجاهلية واضحة في ألأغراض التي تناولتها والخصائص الفنية التي امتازت بها، ومن الحقائق التي توصلت إليها من أظهر مظاهر المحافظة في القصيدة العربية، الافتتاحية الغزلية بصورها المختلفة، منها أيضا وصف الرحيل والغزل، وقد لزم ذلك القصيدة العربية أحد عهودها.

ليست أدل علي قيمة القصيدة الجاهلية الفنية من أن كل القصائد التي أتت من بعدها مديحا لها في كثير من خصائصها، فشعراء صدر الإسلام احتذوا علي حذوها نموذجا لهم وتبعهم سائر الشعراء إلي غاية عصر النهضة ينسجون علي منوالها ولا يجدون فيها إلا القليل وبذلك ظل كل القصيدة القديمة أو النمطية سائدا مستعملا إلي يومنا هذا لا تزال القصائد الجاهلية تتردد علي ألألسنة وتحفظها قلوب

الناشئة وتتأثر بها قرائح الشعراء ويستشهد بها في كل شاردة وواردة لأنها قصائد راقية ذو قيمة فنية معتبرة أهلتها للخلود وأكسبتها إعجاب الأجيال اللاحقة.

ختاما أستطيع أن أقول أنني في هذه الخاتمة أردت أن أتعرض لبعض الدلالات الهامة التي أردت أن أختم بها هذه الدراسة أتمني أن يكون هذا البحث سهل يقنع القارئ تناول الجوانب الهامة التي تحتاج للشرح والتفسير والإقناع وأسال الله التوفيق والسداد.

النتائج

وقد توصلت الباحثة من خلال هذه الدراسة إلي النتائج التالية:

١. الفرض الأول:

القصيدة الجاهلية تناولت الغزل الحسي بصورة واضحة من خلال القصائد الغزلية، من خلال البحث توصلت إلي أن الغزل الجاهلي تعبير عن عاطفة أصيلة في الإنسان فقد تغزل الجاهلي بالمرأة وكان غزله صريحا فقد كان مغرما بالصفات الجسدية البارزة في المرأة.

٢. الفرض الثاني:

القصيدة الجاهلية في بنيتها اللغوية اتخذت كثيرا من المفردات التي انقرضت مع مر العصور لتحل محلها كلمات أخرى.

من خلال الدراسة توصلت الباحثة إلي أن اللغة التي كتبت بها القصائد الجاهلية توجد بها كلمات غير واضحة، لأنها اندثرت مع مرور العصور وحلت محلها كلمات أخرى خاصة بأسماء المواضع ومحل نزول الحبيبة وغيرها.

٣. الفرض الثالث:

القصيدة الجاهلية مرآة العصر الجاهلي لما تناولته من حياة المجتمع الجاهلي القائم علي البداوة والحرب والمرأة.

ولقد توصلت الباحثة من خلال الدراسة إلي أن البادية بيئة الشعر الجاهلي ولذلك كل الشعر مرآة للحياة البدوية يدور حول الطلل والفرس والحرب والقبيلة والخمر والنساء – أن فحول الشعراء كلهم من أهل سكان الخيام البدو، كما أن خصائص الشعر الجاهلي تدور حول البادية وما فيها إلا القليل من ألوان الحضر.

إن الحياة البدوية الفطرية والقدم في الزمن عوامل تضافرت علي جعل الشخصية الإنسانية ساذجة بسيطة كذلك البيئة الجاهلية وكذلك كان أثرها في الشعر الجاهلي كما أن حياتهم التي تقوم علي الغارات والحرب لها أثرها في الشعر.

٤. الفرض الرابع:

الشعر الجاهلي محل إعزاز وتقدير القبيلة لأنه الناطق بلسانها والمادح لها والمجسد لقيمتها ولقد توصلت الباحثة أيضا إلي أن الحياة الجاهلية كانت تقوم علي نظام القبيلة وأن لكل قبيلة شاعر ينطق باسمها ويمدح مآثرها ويفتخر بها لأن الحياة كانت تعتمد علي العصبية القبلية وقد كانوا يهنئون بالشاعر النابغ ويذبحون له الذبائح وهو فخر بالنسبة لهم.

٥. الفرض الخامس:

الناقة في الشعر الجاهلي توازن المرأة في القصيدة الجاهلية ولقد توصلت الباحثة أيضا إلي الناقة هي مصدر غذاء العربي، وكساءه وسكنه ووصفا الراحلة التي يمتطيها للوصول إلي دار الحبيبة فقد أحبها ووصفها وصفا مسهبا.

٦. الفرض السادس

أغراض الشعر الجاهلي أساسياته تتبني بعد تناول موضوعات لا علاقة لها بغرض القصيدة مثل البكاء علي الأطلال والغزل والوصف وغيرها.

لقد توصلت الباحثة من الدراسة إلي أغراض الجاهلي تخضع في كل عصر للأحداث البارزة فيه ذلك أن الشعر تعبير عن خوالج النفوس، وتصوير لمظاهر البيئة، وصورة صادقة من الحياة فهذه الأغراض تعبر عن ما يجده في حياة العصر من شئون تحمل الشعراء من حيث يعبرون عنها، علي أن يكونوا صادقين في تصوير الحياة العربية في العصر الجاهلي تطلبت القول في ألوان معينة من فنون الشعر الجاهلي واستيعاب الشعراء الجاهليون لبيئتهم لذا كانوا يبدأون القصيدة بالأطلال والغزل ثم الوصف فصدقوا التعبير عنها فلم يجمع بهم الخيال أو يعبث بهم تقليد أمة من الأمم فيقولوا فيما لا يجدون صداء في نفوسهم وفي بيئتهم، كذلك لم يقصروا في التعبير عن شيء وقع تحت حسهم أو أثر في نفوسهم فجاءت أغراضهم الشعرية صدى لحياتهم.

التوصيات

في ضوء نتائج هذه الدراسة يمكن الخروج بالتوصيات التالية:

١. دراسة الشعر الجاهلي دراسة وافية من خلال الشعر والكلمة.

٢. استخدام البرمجة الحديثة لاستيعاب لغة الشعر الجاهلي.

٣. ضرورة الاستفادة من الشعر الجاهلي في تقوية اللغة العربية.

٤. مرت اللغة العربية بعصور مختلفة ، الكلمة في قصيدة ليست هي الكلمة الآن ماتت كلمات وتولدت كلمات أخرى حسب حاجة العصر، ضرورة دراسة متكاملة للكلمة العربية لمعرفة الشعر الجاهلي وتذوقه من خلال الدراسة.

الفهارس العامة

وتحتوي علي:

1. **فهرس الأشعار**
2. **فهرس الأعلام**
3. **فهرس المصادر والمراجع**
4. **فهرس المحتويات**

فهرس الأشعار

البيت			القائل	الصفحة
قافية الهمزة				
اذَنَتنــــــا بِبَينِهـــــا أســـــماءُ	*	رُبَّ ثــــاوٍ يُمَــــلُّ مِنــــهُ الثَــــواءُ	الحارث بن حلزة	٣٠
بَعــدَ عَهــد لَهــا بِبُرقَــةِ شَــمّاء	*	فـــــأدنى ديارَهـــــا الخَلصَــــاءُ		٣٠
قافية الباء :				
كِلينـــي لِهَــمّ يــا أُمَيمَــةَ ناصِــبِ	*	وَلَيـــلٍ أُقاســـيهِ بَطـــئِ الكَواكِـــبِ	النابغة	١٧
أري كُـلَ قـومٍ قـارَبوا قَيـدَ فَحلِهـم	*	ونَحــنُ خَلَعنــا قَيــدَهُ فَهــوَ ســارِبُ	الأخفش	٩٠
أتــاني أَبَيــتَ اللَعــن أنّــك لِمتَنــي	*	وَتِلــك الّتــي أُهــتَمُّ مِنهــا وَأنصَــبُ	النابغة الذبياني	٩٩
لُطِمـــنَ بِتُـــرسٍ شَـــديدِ الصِـــفاقِ	*	مِـــن خَشَـــبِ الجَـــوزِ لَـــم يُثقَـــبِ	النابغة الجعدي	٦٩
مـا ينكـر النـاس منـا حـين تملكهـم	*	كـــانوا عبيـــداً وكنـــا نحـــن أربابـــاً	امرؤ القيس	٨٢
ومــــــالي نصــــــر إلا نســــــاء	*	أرامِـــلُ قَـــد هَلَكـــنَ مِـــن النَحيـــبِ	عدي بن زيد	١٠٥
يحـــدرنُ الـــدموعَ علـــي عَـــدِيّ	*	كشــــنّ خانَــــهُ خَــــرزُ الرَبيــــب		١٠٥
السَـيفُ أصـدَقُ أنبـاءً مِـنَ الكُتُـبِ	*	فــي حــدِه الحــدُ بــيَنَ الجَـدِ واللَعَـبِ	أبو تمام	١٩
أتــاني أَبَيــتَ اللَعــن أنّــك لِمتَنــي	*	وَتِلــك الّتــي أُهــتَمُّ مِنهــا وَأنصَــبُ	النابغة الذبياني	٩٩
كِلينـــي لِهَــمّ يــا أُمَيمَــةَ ناصِــبِ	*	وَلَيـــلٍ أُقاســـيهِ بَطـــئِ الكَواكِـــبِ	النابغة الذبياني	١٧

قافية الباء				
تِلــكَ اِبنَـــةُ السَــعدِيّ تَشــتكي	*	لِتخـــونَ عَهـــدي والمخانَـــةُ ذامُ	لبيد بن ربيعة	٤٦
تَبيـتُ بُعَيَـد النَـومِ تُهـدي غَبوقَهــا	*	لجِارَتِهـــا إِذا الهَديَـــةُ قَلَّـــتِ	الشنفري	٢٨
فـــلا يـــا بعـــد لاي الحقنـــي	*	بـــأولي الظعـــن فـــي عيلـــة أمـــوت	النابغة الذبياني	٣٩
قافية التاء :				
يَقولـونَ حِصـنُ ثُـمّ تـأبي نُفوسُـهُم	*	وَكَيـفَ بِحِصـنٍ وَالجِبـالُ جُمـوحُ	النابغة الذبياني	١٠٢
قافية الدال :				
وَإنّـي لأمضُـي الهَـمّ عنـدَ احتضـارِهِ	*	بِعَوجـاءَ مِرقـالٍ تَـروحُ وَتغتَـدي	طرفة	٦٣
أمُـونٍ كَـألواحِ الأرانِ نَصَـاتُهَا	*	عَلـي لاحِـبٍ كَأنَّـهُ ظَهـرُ بُرجُـد	طرفة	٦٣
وَخَـدٌّ كَقِرطـاسِ الشـآمي وَمِشـفَرُ	*	كَسِـبتِ اليَمـاني قَـدّهُ لَـم يُجَـرّدِ	طرفة	٦٣
فَتِلـكَ تُبلِغُنـي النُعمـانَ إنّ لَـهُ	*	فَضلاً عَلي الناسِ في ألأدنى وَفي البَعَدِ	النابغة الذبياني	٩٦
أرَثَّ جَديـدُ الحَبـلِ مِـن أُمَّ مَعبَـدِ	*	بِعاقِبِـهِ وَأخلَفَـت كُـلَّ مَوعِـدِ	دريد بن الصمة	١٠٥
أنـا الرَجُـلُ الضَـربُ الَّـذي تَعرِفونَـه	*	خَشـاشُ كَـرَاسِ الحَيّـةِ المُتَوَقَّـدِ	طرفة	٨٧
ألا أيُّهَـذا اللائِمـي أحضُـرَ الـوَغي	*	وَأن أشـهَدَ اللَـذّاتِ هَـل أنـتَ مُخلِـدي	طرفة	١١١
سَـرى لَـيْلاً خيـالُ مِـنْ سُـلَيْمى	*	فـأرّقَني وأصْـحابي هُجُـودُ	المرقش الأكبر	٢٩
لخِولَـةَ أطـلالُ بِبُرقـهِ ثَهمَـد	*	تَلـوحُ كَبـاقي الوَشـم فـي ظـاهِرِ اليَـدِ	طرفة	٦

أجِزني إذا أُنشِدتَ شِعراً فإنّما	*	بِشِـــعري أتـــاكَ المـــادِحونَ مُـــرَدّدا	المتنبي	٩٥
وأبـي الّـذي سَـلَبَ اِبـنَ كِسـرى رأيـةً	*	بَيضــــاءَ تَخفِـــقُ كَالعُقـــابِ الطـــائِرِ	يزيد بن الحكم	٨٨
مُقَرّبَـــــةَ الشِـــــتاءِ وَلا تَراهـــــا	*	وَراءَ الحَـــــيَّ يَتبَعُهـــــا المِهـــــارُ	عنترة	٦٧
لَهـــا بِالصَـــيفِ أصـــبرةُ وَجِـــلُّ	*	وَنيـــبُ مِــــن كَرائِمِهـــا غِـــزارُ	عنترة	٦٧
وَلَمَّــا رَأيــتُ الخَيــلَ تَتَــرَي أثائِجــاً	*	عَلمــتُ بــأَنَّ اليَــومَ أحمَــسُ فــاجِرُ	الحارث الجرمي	٧٩
ألــم يــئن للأحيــاء أن يعرفــوا لنــا	*	بلـي نحـن أولـي النـاس بالمجد والفخـر	الاصم بن الحجاج	٨٩
مــاذا تَقــولُ لإفــراخٍ بِــذي مَــرخٍ	*	حُمـرِ الحَواصِـلِ لا مـاءُ ولا شَـجَرُ	الخطيئة	٩٧
إذا افِتَخَــروا عَــدّوا الصَــبَهبَذَ مِــنهُمُ	*	وكِســـرى وَآلَ الهُرمُـــزانِ وقَيصَـــر	جرير	٨٩
فبـــاتَ يذُكّيـــهِ بِغَيـــرِ حدَيـــدةٍ	*	أخـو قَـنَصٍ يُمسـي ويُصـبحُ مـفـُطِرا	النابغة الجعدي	٥٢
إذا مـــا رأي مِنـــهُ كُراعـــا تَحَرَكـــت	*	أصـــابَ مَكـــانَ القلَـــبِ مِنـــهُ فَفَرفَـــرا	النابغة الجعدي	٥٢
فَـدَع ذا وَسَـل لا هُـمَّ عَنـكَ بِجِسرةٍ	*	ذُمــولٍ إذا صـــامَ النَهـــارُ وَهَجَّـــرا	امرؤ القيس	٨٤
وَلَـــم نَهلِـــك لِمُـــرَّةَ إذ تَوَلَّـــوا	*	فَســـاروا سَـــيرَ هارِبَـــةٍ فَغـــاروا	بشر بن حازم	٧٩
بِكُـــلَّ مَكـــانٍ تَـــرَي مِـــنهُمُ	*	أرامِــــلَ شَـــتَّى وَرَجلـــي حِـــرَارا	عوف بن عطيه	٧٩
قافية الزاء				
وَأفنـــي رِجـــالي فَبـــادوا مَعـــاً	*	فغـــودِرَ قَلبـــي بِهِـــم مُســـتَفَزّاً	الخنساء	٨٦

قافية السين				
دَعِ المَكــارِمَ لا تَرحَــل لبِ ُغيَتِهــا	*	وَأقعُــد فَإنّــكَ أنــتَ الطــاعِمُ الكاســي	الخطيئة	١٠٨
لمَــــن الــــديارُ بتولَــــعٍ فَيبــــوسِ	*	فَبَيــاضُ رَيطَـــةَ غَيــرَ ذاتِ أنــيسِ	عبد الله بن سلمة الغامدي	٥
أمسَــت بمســتَنَّ الريــاحِ مُفيلَـــةً	*	كالوَشــمِ رُجّــع فــي اليَــدِ المَنكــوسِ		٥
وَلَـــولا كَثــرَةُ البــاكينَ حَــولي	*	عَلــي إخــوانِهِم لَقَتَلــتُ نَفســي	الخنساء	١٠٣
قافية العين				
تــذكرني أطــلا هنــد مــع الهــوى	*	دعــائم منهــا قــائم ومتــدع	النابغة الذبياني	٨
علـي العصـر الخـالي كـان رسومها	*	بتنهيــه الــركين وشــي موجــع		٨
أيّتُهــا الــنَفسُ أجمِلــي جَزَعــا	*	إنّ الّــذي تَحــذَرينَ قَــد وَقَعــا	أوس بن حجر	١٠٣
تَوَهّمــتُ آيــاتٍ لَهــا فَعَرَفتُهــا	*	لِســتّةِ أعــوامٍ وذَا العــامُ ســابِعُ	النابغة الذبياني	٨
فَكَفَكفــتُ مِنــي عَبــرَةً فَرَدَدتُها	*	عَلــي النَحــرِ مِنهــا مُسـتَهِلٌّ وَدامِـعُ	النابغة الذبياني	٤٤
ســائِل بِنــا فــي قومنــا	*	وَكَفــاكَ مِــن شَــرًّ ســماعُه	عاتكة بنت عبدالمطلب	٨٦
قافية الفاء				
بِـهِ أشـهَدُ الحَـربَ العَـوانَ إذا بَـدَت	*	نَواجِــذُها وَاحمَــرّ مِنهــا الطَوائِــفُ	ثعلبة بن عمرو العبدي	٧٦
ربيعــةُ أبــائي الأُلــي اقتسـموا العلـي	*	إذا عُــدّ بــاقٍ مــن زمــانٍ وســالِفُ	عمرو التغلبي	٨٩
قافية الفاء				

ارَقُ علـــــي ارَقٍ وَمَثِلـــــيَ يَـــأرَقُ	*	وَجَـــوىً يَزيــــدُ وَعَبـــرَةُ تَتَرَقـــرقُ	المتنبي	١٩
أتُراهـــــا لِكَثـــــرَةِ العُشّـــــاقِ	*	تَحسَـــبُ الـــدَمعَ خِلقَـــةً فـــي المَـــآقي		١٩
قافية الكاف				
وَقَفــتُ بِهــا أبكــي بُكــاءَ حَمامَــةٍ	*	أراكِيـــــةٍ تَـــدعو حَمامــــاً أوراكـــا	عبيد بن الأبرص	٨
ريــحَ الحِجــازِ بِحَــقِّ مَــن أنشــاكِ	*	رُدّي السَـــلامَ وَحَـــيِّ مَـــن حَيّـــاكِ	عنترة بن شداد	٢٨
قافية اللام				
يـا عَـينِ جـودي بِـدَمعٍ مِنـكِ تَهمـالِ	*	وَعَبـــرَةٍ بنِ َحيـــبٍ بَعـــدَ إعـــوالِ	الخنساء	١٠٤
ألا أنعِـم صَـباحاً أيُّهـا الربـعُ وَأنطِـقِ	*	وَحَدَّث حَديثَ الرَكبِ إن شِئتَ وَأصدُقِ	امرؤ القيس	٨
وَهَـــل يَعِمَـــن إلاّ سَـــعيدُ مُخَلّـــدُ	*	قَليــلُ الهُمــومِ مــا يَبيــتُ بأوجــالِ		٦
صُـــمَّ صَـــداها وَعَفـــا رَســـمُها	*	وإســـتَعجَمَت عَـــن مَنطِـــقِ الســـائِلِ		٨
وَدّع هُرَيـــرَةَ إنّ الرَكـــبَ مُرتحِـــلُ	*	وَهَـــل تُطيـــقُ وَداعـــاً أيُهـــا الرَجُـــلُ	ألأعشي	٣١
غَـــرّاءُ فَرعـــاءُ مَصـــقولُ عوارِضُـــها	*	تَمشي الهُوَينا كَما يَمشي الوَجي الوَحِلُ	الأعشي	٣١
تصــد وتبــدي عــن أســيلٍ وتتقــي	*	بنِـــاظِرةٍ مِـــن وحـــشٍ وَجـــرَةَ مُطفِـــلِ	امرؤ القيس	٢٩
وجيــد كجيــد الــرئم لــيس بفــاحش	*	إذا هِـــــيَ نَصّـــــتهُ وَلا بمِ ُعَطّـــــلِ		٢٩
كـــأنّي غَـــداةَ البَـــينِ يَـــومَ تَحَمّلـــوا	*	لَـــدى سَـــمُراتِ الحَـــيّ نـــاقِفُ حَنظَـــلِ	امرؤ القيس	٣٨
وَلَـــم يُـــرَ فـــي أفنـــاء مـــرّةٍ مثلهـــا	*	وَلا عنـــــدَ قيســـــيّ غنيمـــــة قافـــــلِ	زينب بنت فروة	٨٦

والشــمس قــد كــادت ولمــا تفعــل	*	كأنهــا فــي الأفــق عــين الأحــول	أبي النجم العجلي	١٦
وَلَـم يُـرَ فـي أفنـاء مـرّةٍ مثلهـا	*	ولا عنـــدَ قيســـيّ غنيمـــة قافـــلِ	زينب بنت فروة	٨٦
والشــمس قــد كــادت ولمــا تفعــل	*	كأنهــا فــي ألأفــق عــين الأحــول	أبي النجم العجلي	١٦
قفـا نبـك مـن ذكـرى حبيـب ومنـزل	*	بِسِــقطِ اللــوى بَــينَ الــدَخولِ فَحَومَــلِ	امرؤ القيس	٥
صحا القلب عن سلمى وملّ العواذل	*	ومــا كــاد لأيــا حــب ســلمى يزايــل	المزرد	٧٧
ومـا كـانَ مَجْـدُ فـي أُنـاسٍ علِمتُـهُ	*	مِــنَ النّـــاسِ إلاّ مَجْــدُنا كــان أوّلا	النابغة الجعدي	٨٧
وَجَمــعَ بَنــي غَــنمٍ غَــداةَ حُبالــةٍ	*	صَــبَحنَ مَــعَ الإشــراقِ مَوتــاً مُعَجّــلا	خراشة بن عمرو	٧٨
بِكُـلّ سُـرَيجِيَ جَـلا القَـينُ مَتنَـهُ	*	رَقيـقِ الحَواشـي يَتـرُكُ الجُـرحَ انجَـلا	خراشة بن عمرو	٧٨
أخـي ثِقَـةٍ لا تُتلِـفُ الخَمـرُ مالَـهُ	*	وَلَكنَّـــهُ قَـــد يُهلِـــكُ المـــالَ نائِلُـــه	زهير	٩٥
وَأبــيَضَ فَيّــاضٍ يَــداهُ غَمامَــةٌ	*	عَلــي مُعتَفيــهِ مــا تُغِــبُّ فَواضِــلُه	زهير	٩٤
صَحا القَلبُ عَن سَلمى وَأقصَرَ باطِلُه	*	وَعُـــرّي أفـــراسُ الصِـــبا وَرَواحِلُـــه	حذيفة بن محصن	١٨
ألا مــــا لســــيوف مالهــــا	*	أدلـــــت فاحمـــــل أدلاهـــــا	أبي العتاهية	١٩
قافية الميم				
وَكـائِن أزَرنـا المَـوتَ مِـن ذي تَحِيّـةٍ	*	إذا مـــا اِزدَرانـــا أو أسَـــفّ لِمَـــأثَمِ	جابر التغلبي	٧٥
الـــدّارُ قَفْـــر والرسّـــوُم كَمـــا	*	رَقّـــشَ فـــي ظَهْـــرِ الأدِيـــمِ قَلَـــمْ	المرقش الأكبر	٩

وَدارُ لَهـــا بِـــالرَقمَتَينِ كَأَنّهـــا	*	مَراجِــعُ وشــمٍ فــي نَواشِــرِ مِعصَــمِ	زهير	٩
أمْسَـــتْ خَـــلاءً بعـــدَ سُـــكّانِها	*	مُقفِـــرَةً مـــا إنْ بهـــا مِـــنْ إرَمْ	المرقش الأكبر	٩
إلا مِـــنَ العِـــينِ تَرْعَـــي بهـــا	*	كالفارســـيّين مَشَـــوْا فـــي الكُمَـــمْ		٩
هــل تعــرف الــدار عفــا رســمها	*	إلاّ الأثـــافيّ ومَبْنـــي الخِـــيَمْ	المرقش الأكبر	٧
حســبت أبــا قــابوس أنــك ســالم	*	ولمـــا تصـــب ذلا وانفـــك راغـــم	الحارث بن ظالم	٧٧
هُـوَ الجَـوادُ الّـذي يُعطيـكَ نائِلَـهُ	*	عَفـــواً وَيُظلَـــمُ أحيانـــا فَـــيَظّلِمُ	هرم بن سنان	٩٤
أمِــن أُمّ أوفــي دِمنَـــةُ لَــم تكَلّــمِ	*	بِحَومانَـــــهِ الـــــدُرّاجِ فَـــالمُتَثَلّمِ	زهير	١٧
وَدارُ لَهـــا بِـــالرَقمَتَينِ كَأَنّهـــا	*	مَراجِــعُ وشــمٍ فــي نَواشِــرِ مِعصَــمِ		٩
فأقسَـمتُ بِالبَيـتِ الّـذي طـافَ حَولَـهُ	*	رِجـــالُ بَنَـــوهُ مِـــن قُـــرَيشٍ وَجُـــرهُم	زهير	٩٧
الهـي بنـي تغلـب عـن كـل مكرمـة	*	قصـــيدة قالهـــا عمـــرو بـــن كلثـــوم	عمرو بن كلثوم	٨٤
غَـدَونا إِلَـيهِم وَالسُـيوفُ عِصـيّنا	*	بِأيمانِنا نَفلي بِهِنّ الجَماجِما	عبد المسيح بن عسلة	٧٧
فَـاقِطَع لُبانَـةَ مَـن تَعَـرّضَ وَصـلُهَ	*	وَلَشَـــرّ واصِـــلِ خُلّـــةٍ صَـــرّامُها	لبيد	٤٥
نطـــاردهم نســـتنقذ الجـــرد كالقنـــا	*	وَيَســـتَنقِذونَ السَـــمهَرِيّ المَقَوّمـــا	الحصن بن الحمام	٧٦
عَشــيّةَ لا تُغنــي الرِمـــاحُ مَكانَهـــا	*	وَلا النَبـــلُ إلاّ المَشـــرَفِيّ المُصَـــمّما		٧٦

بَـل مـا تَـذَكّرُ مِـن نَـوارَ وَقَـد نَـات	*	وتَقَطّعَـــــت أســـــبابُها ورِمامُهـــــا	الملك الضليل	٣٠
مُرِّيّـــــةُ حَلّـــت بِفَيـــدِ وَجـــاوَرَت	*	أهــلَ الحِجــازِ فَــأَينَ مِنــكَ مَرامُهــا		٣٠
تَحَلّــيْنَ ياقُوتــاً وشَــذءراً وصِــيغةً	*	وجَزْعـــــاً ظَفارِيّــــا ودُرّاً توائِمــــا	المرقش الأصغر	٤١
ألا يا اسْلَمِي لا صُرْمَ لِي اليوم فاطِما	*	ولا أبَـــداً مــــا دامَ وَصْـــالُكِ دائِمــا	المرقش الأصغر	٢٩
هــل غــادَرَ الشُــعَراءُ مِــن مُتَــرَدَّمِ	*	أم هَــل عَرَفــتَ الــدارَ بَعــدَ تَــوهّمِ	عنترة بن شداد	١٨
يــا دارَ عَبَلـــةَ بِــالجَواءِ تَكَلَمّــي	*	وَعَمــي صَــباحاً دارَ عَبلَــةَ وَأَســلَمي		٣١
أشَـــــجاكَ الرَبـــــعُ أم قِدَمُـــــه	*	أم رَمـــــــادُ دارِسُ حُمَمُـــــــه	طرفة	٩
كَسُـــــطورِ الــــرِقّ رَقّشَـــــهُ	*	بِالضُــــحى مُـــــرَقّشٌ يَشِـــــمُه		٩
قافية نون				
لا تقــل بشــرى فعنــدي بشــريان	*	غــره الـــداعي ويـــوم المهرجـــان	أبي مقاتل	١٦
خُبيـرُ بِأعمـالِ الرِجـالِ كَمـا جَـزى	*	بِبَـــدرٍ وَبِـــاليَرموكِ فَـــيءَ جَنـــانِ	الفرزدق	٨٨
وَنُبّئــــتُ قَيســـاً وَلَــــم أبلُــــهُ	*	كَمـــا زَعَمـــوا خَيـــرَ أهــلِ الــيَمَن	الأعشي	٩٧
وَإِنّــــا الشــــارِبونَ المــــاءَ صَــــفواً	*	وَيَشـــرَبُ غَيرُنــــا كَـــدِراً وَطينــــا	عمرو بن كلثوم	٨٧
وَكُنّــــا الأيمَنـــــينَ إذا التَقَيَنـــــا	*	وَكـــان الأيسَـــرين بَنـــو أبينـــا	عمرو بن كلثوم	٨٥
وأنّـــا الرافِعـــونَ عَلــــي مَعَـــدّ	*	أكُفـــاً فــــي المَكــــارِمِ مــــا بَقينــــا	أمية بن الصلت	٨٧

قِفــــي قَبــلَ التَفَــرّقِ يــا ظَعينـــا	*	نُخَبّـــــرِكِ اليَقينــــا وَتُخبِرينـــــا	عمرو بن كلثوم	٣٠
قِفــي نَســألك هَــل أحــدَثتِ صَــرماً	*	لِوشـــكِ البَــينِ أم خُنــتِ الأمينـــا		٣٠
مَتـــى نَنقُـــل إلـــي قـــومٍ رَحانـــا	*	يَكونـــوا فـــي اللِقـــاءِ لَهـــا طَحينـــا	عمرو بن كلثوم	٧٤
لا تَحزُنينــــي بِــــالفراقِ فَــــإنّني	*	لا تَســتَهِلُ مِـــنَ الفِـــراقِ شُـــؤوني	أوس بن حجر	٣٩

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

الرقم	المصدر
١.	إبراهيم أبو الخشب أحمد وعبد المنعم البهتي: بحوث في الأدب الجاهلي، الطبعة ألأولي، ١٩٦١م، مطبعة لجنة البيان العربي شارع مصطفي كامل
٢.	أحمد الإسكندر والشيخ مصطفي عانني بك: الوسيط في الأدب العربي، ترجمة دار المعارف، ٩ ذو القعدة ١٣٣٥هـ – ٦ أغسطس
٣.	أحمد محمد الحوفي: الغزل في الشعر الجاهلي، دار القلم، بيروت – لبنان
٤.	أحمد محمد الحوفي: الحياة العربية في الشعر الجاهلي، دار القلم – بيروت – لبنان
٥.	أحمد محمد الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، الطبعة الثانية، مطبعة المدني، القاهرة
٦.	أحمد محمد شارك: المفضليات، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر.
٧.	إسماعيل أحمد شحادة: وصف الطبيعة في الشعر الجاهلي الأموي، مؤسسة الرسالة، دار عمان.
٨.	الأغاني : أبي بكر محمد بن داؤد، الزهرة
٩.	الاصفهاني : كتاب الأغاني : تحقيق سمير جابر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
١٠.	الأصفهاني : أبي الفرج، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، محمود محمد
١١.	الأعشي: ميمون بن قيس، ديوان الأعشي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م
١٢.	امرئ القيس : الديوان ، تأليف حسن النووي، الطبعة الثلاثة، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٣م، مطبعة الاستقامة
١٣.	أنور ناصر: الشعراء العشاق، دراسة أدبية حول شعراء الغزل، الطبعة الأولي، ١٩٦٠م

١٤.	أوس بن حجر: الديوان، تحقيق محمد يوسف نجم، دار الطباعة والنشر، دار بيروت، ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م
١٥.	إليا حاوي: فن الوصوف وتطوره في الشعر العربي،منشورات دار حادي الشرق الجديد، الطبعة ألأولي، ١٩٦٠هـ
١٦.	بدوي طبانة: معلقات العرب، دراسة نقدية وتاريخية في عيون الشعر الجاهلي، الطبعة الثانية، ١٣٧٨هـ – ١٩٦٧م، بيروت – لبنان
١٧.	البغدادي: إسماعيل باشا : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبعة استانبول ١٩٥١ن، منشورات مكتبة المثني ببغداد
١٨.	ابن تغربردي: جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغربردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦١هـ – ١٩٤٢م.
١٩.	أبو تمام : حبيب بن أوس ، الديوان، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزم، المجلد ألأول، دار المعارف، ١٩٦٤م.
٢٠.	أبو تمام: حبيب بن أوس بن الحارث المتوفي، ٢٣١هـ، تحقيق محمد عبده عزم، المجلد الأول، دار المعارف، ١٩٦٤م.
٢١.	الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، ت ٢٥٥هـ، كتاب الحيوان.
٢٢.	الجرجاني: القاضي علي بن عبد العزيز بن الحسن، ت ٣٩٢هـ، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم علي محمد البجاوي، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، عيسي البابي الحلبي وشركاه.
٢٣.	جورج زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، المجلد الأول دار مكتبة الحياة بيروت – لبنان ، ١٩٨٣م.
٢٤.	جورج غريب: الجاهلية أدب وفن وتاريخ سلسلة الموسوعة في الأدب العربي، دار الثقافة، بيروت – لبنان
٢٥.	حاتم الطائي: الديوان تحقيق مفيد محمد قميحة، دار المطبوعات الحديثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م – ١٩٨٨م
٢٦.	ابن حزم: علي بن عسيد بن حزم الظاهري، ت ٤٥٦هـ، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مطبعة الاستقامة، القاهرة.

٢٧.	حسين عطوان: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، دار المعارف بمصر.
٢٨.	الخطيب التبريزي: شرح القصائد العشر، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق ، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م
٢٩.	ابن خلكان: أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، ت ٦٨١هـ، وفيات ألأعيان وأنباء وأبناء الزمان، تحقيق د. يوسف علي طويل، الطبعة ألأولي ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م
٣٠.	تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الرشيد، ت ٢٤هـ ، الديوان، تحقيق إبراهيم عوضين الطبعة ألأولي ١٤٠٥هـ – ١٩٨٠م مطبعة السعادة ، ميدان أحمد ماهر.
٣١.	الزركلي: خير الدين محمود، الأعلام قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة العاشرة، بيروت دار العلم للملايين، ١٩٩٢م.
٣٢.	الذهبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ، سير أعلام النبلاء، أشرف علي التحقيق شعيب الارنؤوط، الطبعة السابعة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠م.
٣٣.	ابن رشيق: الحسن بن رشيق القيرواني، المتوفي ٤٦٣هـ ، العمدة في صناعة الشعر، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب بيروت – لبنان.
٣٤.	زبيردراقي: المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، رقم النشر ، ٤٠٩٠٣٩٢٩
٣٥.	زهير بن أبي سلمي: الديوان، شرح أبو حجاج يوسف بن سليمان، محمد بدر اليدن
٣٦.	الزوزني : حسين بن أحمد بن حسين الزوزني، ت ٤٨٦هـ، شرح المعلقات السبع، الطبعة الثانية، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٧٥م.
٣٧.	السباعي بيومي: تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، الجزء الأول
٣٨.	سعد إسماعيل شلبي: الأصول الفنية في الشعر الجاهلي، مكتبة غريب.

٣٩.	السمعاني: الإمام ابي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، المتوفي ٥٦٢هـ، الأنساب تحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة ألأولي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٤٠.	شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، الجزء الأول.
٤١.	الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك، ت ٧٦٤هـ، كتاب الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الارناؤوطي وتركي مصطفي، الطبعة الأولي بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
٤٢.	طرفة بن العبد: الديوان شرح ألأديب يوسف الأعلم الشنتمري، طبع في مدين شالون بمطبع برطوند
٤٣.	طه أحمد إبراهيم" تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلي القرن الرابع الهجري، دار الحكمة ، بيروت – لبنان.
٤٤.	طه حسين: حديث ألأربعاء، الجزء الأول، الطبعة الثانية عشر، دار المعارف بمصر، ١٩٢٥م.
٤٥.	العباسي: الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، المتوفي ٩٦٣هـ، معاهد التنصيص علي شواهد التلخيص تحقيق محمد محي الدين عبد الجليل ، بيروت عالم الكتب، ١٣٦٧هـ – ١٩٤٧م.
٤٦.	أبن عبد البر: ابي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي، المتوفي ٤٦٣هـ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق الشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولي ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
٤٧.	عبد العظيم قناوي: الوصف في الشعر الجاهلي العربي الجزء الأول مطبعة البابي الحلبي وأولاده الطبعة ألأولي ، ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م.
٤٨.	عبد الله الحامد: الشعر في الجزيرة العربية، الطبعة ألأولي، ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م.
٤٩.	العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيي بن مهران، كان حيا سنة ٣٩٥هـ، كتاب الصناعتين تحقيق مفيد قميحة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ – ١٩٧٤م .
٥٠.	علي الجندي: شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة

٥١.	علي الجندي: في تاريخ الأدب الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة.
٥٢.	علـي محمـد حسـن العمـاري: التـاريخ الأدبـي للعصـرين الجاهـل والإسـلامي الأول ، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
٥٣.	عمـر رضـا كحالـة: معجـم المـؤلفين تـراجم مصـنفي الكتـب العربيـة، الطبعـة ألأولي، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م
٥٤.	عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، الجزء الأول، دار العلم، بيروت
٥٥.	ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوري، ت٢٧٦هـ، الشعر والشعراء
٥٦.	قدامة بن جعفر المتوفي ٣٣٧هـ، نقد الشعر تحقيق عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٥٧.	القرشـي: أبـي زيـد أحمـد بـن أبـي الخطـاب، المتـوفي ١٧٠هــ، جمهـرة أشـعار العرب، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، دار نهضة مصر.
٥٨.	كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، نقله إلي العربي عبد الحليم النجار.
٥٩.	كارلونـا لينـو: تـاريخ الآداب العربيـة مـن الجاهليـة حتـى عصـر بـن أميـة تقـديم طه حسين، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر.
٦٠.	لبيـد بـن ربيعـة العـامري: المتـوفي ٤١هــ ، الـديوان، دار صـادر بيـروت، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م.
٦١.	المتنبي : أبو الطيب أحمد بن الحسين، الديوان
٦٢.	مجموعة لجنة من أدباء الأقطار العربية: الغزل من نشأته حتى صدر الدولة العباسية، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م.
٦٣.	مجموعة لجنة من أدباء الأقطار العربية: الوصف، تصدرها دار فنون الأدبي العربي، الفن الغنائي.
٦٤.	محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
٦٥.	محمـد عبـد العزيـز الكفـراوي: الشـعر العربـي بـين الجمـود والتطـور، الطبعـة الثانية، ١٩٥٨م.

٦٦.	محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، الطبعة ألأولي، ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م، مطبعة حجازي ، القاهرة.
٦٧.	محمد غنيمي هلال: النقد ألأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت – لبنان، دار العودة، ١٩٧٣/٧/١م.
٦٨.	محمد النويهي: الشعر الجاهلي منهج في دراسة وتقديمه، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة
٦٩.	المرزباني: معجم الشعراء أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، ت ٣٤هـ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر ١٩٦٥م.
٧٠.	مصطفي ناصف: قراءات ثانية لشعرنا القديم، بيروت.
٧١.	مطاوع صفدي وإيليا حاوي: موسوعة الشعر العربي، الشعر الجاهلي، المجلد الأول، شركة خياط للكتب والنشر، بيروت، ١٩٧٤م.
٧٢.	ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت.
٧٣.	النابغة الذبياني: المتوفي نحو ١٨ ق هـ، تحقيق كرم البستاني، بيروت ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
٧٤.	النابغة الذبياني: الديوان تحقيق البستاني، بيروت، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م
٧٥.	النابغة الذبياني: الديوان، تحقيق عباس عبد الستار، الطبعة ألأولي، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م.
٧٦.	نجيب البهبيتي: تاريخ الشعر العربي حتى القرن الثالث الهجري، ١٣٨١هـ – ١٩٦١م، الناشر مؤسسة الخانجي، القاهرة.
٧٧.	نوري حمود القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، عالم الكتب.
٧٨.	النويري : أحمد بن عبد الوهاب بن محمد شهاب الدين المتوفي ٧٣٣هـ، نهاية ألإرب في فنون الأدب، دار الكتب للطبعة والنشر.
٧٩.	هيوارث د ن: الأدب العربي في العصر الجاهلي مكتبة الثقافة العربية.
٨٠.	وهب رومية: الرحلة في القصيدة الجاهلية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٨١.	اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي، ت ٧٦٨هـ، الطبعة الثانية، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م
٨٢.	يحي الجبوري: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، الأندلس، بيروت ، شارع سوريا
٨٣.	يوسف حسين بكار: بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، الأندلس، بيروت – لبنان.

فهرس المحتويات